حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

٩

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

مجلة سنوية محكمة تعنى بالتاريخ الإسلامي والوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

كل الحقوق محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2735-3923

رقم الإيداع بدار الكتب
2013/18750

الترقيم الإلكتروني
2735-4725

موقع المجلة على بنك المعرفة:
hsew.journals.ekb.eg

٢٠٢١م

قطعة ٤ بلوك ٧ – المنطقة التاسعة – شارع د. رؤوف عباس- مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ – ٢٧٤٢٨٢٩١ – ٢٧٤٢٨٢٩٦ – فاكس ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميَّ والوسيط

مَجلة عِلميَّة مُحَكَّمة

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

العدد التاسع

القاهرة

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

رئيس مجلس الإدارة أ.د. أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ.د. حسين سيد عبدالله مراد

مديـر التحرير: د. محمد فوزي رحيل

أ.د. صلاح الدين علي عاشور

أ.د. عبير زكـريا سليـمان

أ.د. نهلـة أنيس مصطفى

د. عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم

الهيئة الاستشارية الدولية

أ.د. إبراهيم عبدالمنعم سلامة (مصر)

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد (مصر)

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي (مصر)

أ.د. عبدالقادر بوباية (الجزائر)

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي(السعودية)

أ.د. عبدالهادي ناصر العجمي (الكويت)

أ.د. عفاف سيد صبرة (مصر)

أ.د. فتحي عبدالفتاح أبو سيف (مصر)

ا.د. قاسم حسن السامرائي (العراق)

ا.د. لطفي بن ميلاد (تونس)

أ.د. محمد أحمد بديوي (مصر)

أ.د. محمد عيسي الحريري (مصر)

أ.د. محمد الناصر صديقي (تونس)

Prof. Dr. Albrecht Fuess (Germany)

Prof. Dr. Sylvie Denoix (France)

Prof. Dr. Tetsuya Ohtoshi (Japan)

المحرر الفني أ. ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر بالحولية

- ترحب الحولية بنشر البحوث العلمية المبتكرة في التاريخ الإسلامي والوسيط باللغتين العربية والإنجليزية.
- يفضل أن يكون البحث في حدود ٣٥ صفحة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث على موقع الحولية على بنك المعرفة ولن يلتفت إلى الأبحاث التي ترسل عن طريق آخر.
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة (CV)، وملخصًا للبحث باللغة العربية ولغة أجنبية في حدود (١٥٠) كلمة لكل منهما والكلمات المفتاحية.
- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًّا بأن البحث لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها، وعدم الدفع به إلى النشر في جهات أخرى بعد موافقة الحولية على نشره.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بأصولها الصالحة للطباعة، وفي حال رغبة الباحث نشرها ملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- تتمتع الحولية بحق الملكية الفكرية للبحوث التي تنشرها، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في جهة أخرى بعد مرور خمس سنوات على النشر بالحولية، وبموجب أذن كتابي من رئيس تحرير الحولية.

- لا تقبل الحولية البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- توضع الهوامش مرتبة بطريقة متسلسلة في أسفل البحث.
- تخضع البحوث قبل النشر للتحكيم العلمي على نحو سري (معمي).
- يتم تقويم البحث وفقًا للعناصر التالية:
  - أن يكون البحث مبتكرًا، ومضمونه متكامل علميًّا.
  - وضوح المنهج، وملائمته لموضوع البحث.
  - رعاية الإخراج العلمي وتوزيع عناصر البحث.
  - سلامة اللغة ووضوح الصياغات والعبارات.
  - كفاءة المراجع وصحة التوثيق، وسلامة الهوامش، ودقة استخدام المصادر والمراجع.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، حتى وإن كانت طفيفة، وفي حال ما إذا رأت الحولية عدم نشر البحث، تخطر صاحبه بالاعتذار عن عدم النشر مع بيان الأسباب.

مُقَدِّمَة

يسعد أسرة تحرير حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، أن تقدم للمتخصصين فى الدراسات التاريخية وكافة القراء العدد التاسع من الحولية؛ والذي يصدر في جزئين، وقد شارك فى إعداده مجموعة من المؤرخين والباحثين على اختلاف أجيالهم من المتخصصين فى التاريخ الإسلامى والوسيط .

وكما تفتح الحولية صفحاتها لبحوث الأساتذة، فإنها تفتح صفحاتها أيضًا لشباب الباحثين المستوفين للشروط العلمية للنشر .

ويتضمن هذا العدد والذى يصدر فى مجلدين اثنى عشر بحثًا، عالجت موضوعات شتى فى التاريخ الإسلامى والوسيط منها خمسة أبحاث فى التاريخ الوسيط فى العصر البيزنطى.

وسبقه بحوث فى التاريخ الإسلامى؛ منها ثلاثة فى المشرق الإسلامى، ومثلها فى المغرب الإسلامى، والبحث السابع عالج موضوعًا مهمًّا فى التاريخ الإسلامى لأفريقيا جنوب الصحراء والتى تسمى السودان الغربي وتشمل غرب أفريقيا حاليًّا .

وتأمل هيئة تحرير الحولية بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن يحوز هذين المجلدين مع العدد التاسع على قبول المهتمين بالدراسات التاريخية . ونشكر كل الزملاء الذين شاركوا ببحوث جادة فى هذا العدد.

ونأمل أيضًا أن يوافينا الباحثون بأبحاثهم الجادة للنشر فى الأعداد القادمة للحولية حتى تستمر فى أداء رسالتها فى خدمة البحث العلمي والدراسات التاريخية.

واللهُ ثم الوطن العزيز من وراء القصد،،،

المشرف على السيمنار

ورئيس التحرير

أ.د. حسين سيد عبد الله مراد

مقرر السيمنار

ومدير التحرير

د. محمد فوزى رحيل

المحتويات

العدد التاسع - الجزء الأول

١- المقاومة الشعبية في القسطنطينية ضد الهون عـــام ٥٥٨- ٥٥٩م ١١-٧٢
أ.د. وديع فتحى عبد الله

٢- الوسيط الديني «الرهبان» بين حاجة المجتمع وتطلعات السلطة الإمبراطورية خلال العصر البيزنطي الباكر ..... ٧٣ - ١٥٦
د. مصطفى محمود محمد محمد

٣- الأميرة الكارولنجية دودا Dhuoda (٨٠٣-٨٤٤م.) دوقة سبتمانيا Septimania، من خلال مصنفها: "الكُتيب "*Liber Manualis* ..... ١٥٧ - ٢٠٠
د. عمر عبد المنعم إمام إبراهيم

٤- غارات النورمان على وادى نهر السين والسوم خلال حكم الملك شارل الأصلع (٨٥٦-٨٦٦م) ..... ٢٠١ - ٢٥٠
د. جمال فاروق الوكيل

٥- شيطان الإناث غيللو من منظور المعتقدات الشعبية في الإمبراطورية البيزنطية ..... ٢٥١ - ٢٩٨
د. محمد عبدالشافى محمد محمود المغربى

٦- المؤرخ محمد بن أحمد النسوي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ورسالته: نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور ..... ٢٩٩ - ٤١٢
د. وائل أحمد إبراهيم طوبار

٧- الأسرة فى السودان الغربى عصر مملكتى مالى وصنغى (٦٣٦- ١٠٠٠هـ/١٢٣٦- ١٥٩١م) ..... ٤١٣ - ٤٦٤
د. إبراهيم رجب محمود عبدالمجيد

المحتويات

العدد التاسع - الجزء الثاني

٨- المخزن في معيار الونشريسي ٤٦٥-٤٨٠

أ.د. ناريمان عبد الكريم أحمد

٩- **التعليم فى عصرى الرستميين والأغالبة «دراسة مقارنة» (١٦٠-٢٩٦هـ /٧٧٧-٩٠٨م)** ..... ٤٨١ - ٥٢٨

د. محمد على محمد عبدالرحمن

١٠- أسواق سجستان وحواضرها في العصر الصفاري (٢٥٣-٢٩٨هـ/ ٨٦٧-٩١٠م) ..... ٥٢٩ - ٦٢٤

د. محمد زين العابدين محمد مريكب

١١- **المقابر الإسلامية ومجتمع إفريقية (من ق٢هـ/٨م إلى ق٥هـ/١١م)** ..... ٦٢٥ - ٧٨٢

د. كريمة عبدالرؤوف محمد رحيم الدومى

١٢- **حرفة الخياطة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)** ..... ٧٨٣ - ٨٢٠

د. عبد الحميد جمال الفراني

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيَّ وَالْوَسِيط ٩ (٢٠٢١)، ٢٩٩ – ٤١٢

المؤرخ محمد بن أحمد النسوي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

ورسالته: نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور

Historian Muhammad bin Ahmed Al-Nassawi (T: 647 AH / 1249 AD) and his message: *The issuer's whisper at the tepidity of the time of issue and the time of issuing tepidity*

د. وائل أحمد إبراهيم طوبار[1]

الملخص:

اشتهر المؤرخ محمد بن أحمد بن علي بالزيدري والنسوي المنشئ حيث خدم السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي وعمل كاتب إنشائه في أذربيجان خلال الفترة من (٦٢٢-٦٢٨هـ/١٢٢٥-١٢٣٠م)، وكان النسوي يجيد ثلاث لغات "العربية والفارسية والتركية" فعمل مترجما وصار

(١) أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد، كلية دار العلوم – جامعة الفيوم.

صديقا شخصيا مقربا للسلطان جلال الدين، وبعد هزيمة جلال الدين أمام المغول في رمضان ٦٢٨هـ/١٢٣٠م هرب النسوي مفارقا مخدومه حيث استقر به المقام بميافارقين في رحاب الملك الأيوبي شهاب الدين غازي، وبعد مضي أربع سنوات على فراقه لجلال الدين (أي في عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) كتب النسوي رسالته نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور، وفي عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م دوّن كتابه الأشهر عن سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ثم التحق بعدها بخدمة بركة خان الخوارزمي الذي أكرمه لمنزلته من جلال الدين، وفي عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م التحق النسوي بخدمة الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي في حلب وعمل سفيرا له لدى المغول عدة مرات، ثم كانت وفاته في حلب في عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م.

تتضمن رسالة نفثة المصدور حوادث ووقائع الفترة من ٦٢٧-٦٣٢هـ/ ١٢٢٩-١٢٣٤م، وتعد من الرسائل التاريخية المكتوبة بأسلوب أدبي بليغ لا يخلو من الصنعة مع الاستشهاد بالقرآن والشعر، وقد عبر فيها النسوي عن آلامه وأحزانه لما وقع له ولسيده جلال الدين على يد المغول، وهي وثيقة تاريخية معاصرة شاهد مؤلفها ورأى بعينه وقائع الغزو المغولي الأول لدولة الخوارزميين وحروب السلطان جلال الدين معهم، كما أنها تكشف لنا عن قرب عن مدى ضعف رجال الحكم في دولة جلال الدين وتخاذل الحكام المجاورين في الشام والعراق وبلاد الجزيرة وأسيا الصغرى عن نصرته.

الكلمات المفتاحية: النسوي – نفثة –المصدور–جلال الدين –مغول.

Abstract:

The historian Muhammad bin Ahmed bin Ali was known as al-Zaydari and Al-Nasawi, as he served Sultan Al-Khwarizmi Jalal al-Din Mankabarti and worked as a writer of his documents in Azerbaijan in the period from (622-628 AH/1225-1230 AD). Al-Nasawi had an excellent command of

three languages: "Arabic, Persian and Turkish", so he worked as a translator and became a close personal friend of Sultan Jalal al –Din. After the defeat of Jalal al-Din before the Mongols in Ramadan 628 AH/1230 AD, al-Nasawi fled, leaving his employer, where he settled in Mayafariqin in the presence of the Ayyubid king Shihab al-Din Ghazi. Four years after his separation from Jalal al-Din (i.e. in 632 AH / 1234 AD), al-Nasawi wrote his message: "The issuer's whisper at the tepidity of the time of issue and the time of issuing tepidity". In the year 639 AH / 1241 AD, he wrote his most famous book on the biography of Sultan Jalal al-Din Mankabarti, then he joined the service of Barakat Khan al-Khwarizmi, who honored him for his closeness to Jalal al-Din. In the year 644 AH / 1246 AD, al-Nasawi joined the service of al-Nasir Salah al-Din Yusuf al-Ayyubi in Aleppo and served as his ambassador to the Mongols several times, then his death was in Aleppo in the year 647 AH / 1249AD.

The message of the issuer's whisper includes incidents and facts of the period from 627-632 AH / 1229-1234 AD; tt is considered one of the historical messages written in an eloquent literary style that is not devoid of craftsmanship, with reference to the Qur'an and poetry. In it, Al-Nasawi expressed his pain and sorrow for what happened to him and his master Jalal al-Din at the hands of the Mongols. It is a contemporary historical document whose author witnessed and saw; with his own eyes, the facts of the first Mongol invasion of the Khwarizmian state and the wars of Sultan Jalal al-Din with them. It also reveals to us closely the extent of the weakness of the ruling men in the state of Jalal al-Din and the failure of the neighboring rulers in the Levant, Iraq, the Peninsula and Asia Minor to support him.

مقدمة:

يعد محمد بن أحمد بن علي النسوي الملقب بشهاب الدين محمد من المؤرخين الذين لم ينالوا اهتماما مناسبا من قبل مؤرخينا القدامى والمحدثين على السواء، فعلى الرغم من اشتهار هذا الرجل بين مؤرخي القرنين السابع والثامن الهجريين بالنسوي المنشئ كاتب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي واعتمادهم بشكل أساسي على ما كتبه في هذه السيرة فيما يتعلق بالحديث عن التعريف بالمغول وبداية غزوهم للبلاد الإسلامية وقضائهم على دولة الخوارزميين؛ فإن هؤلاء المؤرخين أنفسهم لم يهتموا على الإطلاق بحياة النسوي الخاصة ولا بطبيعة علاقته بالسلطان جلال الدين وخدمته له، كما أنهم أهملوا بشكل واضح الحديث عن رسالة نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور التي كتبها النسوي قبل تأليفه كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي.

ولد النسوي وعاش حياته في قلعة زيدر التابعة لمدينة نسا من إقليم خراسان، وظل مقيما بها حتى هجوم المغول بقيادة جنگيزخان على دولة الخوارزميين، فشارك بنفسه في الدفاع عن نسا وقلعة زيدر ضد المغول، وفي عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م تم تكليفه من أمير نسا بتسليم الأموال المقررة عن المدينة إلى الأمير غياث الدين بيرشاه بن السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد وشقيق جلال الدين وكان آنذاك مقيما في مدينة الري؛ وهناك وجد النسوي أن غياث الدين بيرشاه قد أُطِيحَ به عن الحكم وتفرد السلطان جلال الدين بحكم الدولة بناء على وصية والده من قبل، وكان جلال الدين قد عاد من الهند إلى إيران محاولا استرداد ملكه وإقامة حكم دولته متخذا من أذربيجان في شمالي غرب إيران مستقرا له.

قرر النسوي اللحاق بجلال الدين في أذربيجان وتقديم ما جاء به من

أموال من نسا إليه، ووصل النسوي إلى أذربيجان في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ليبدأ مرحلة جديدة من حياته حيث أجبرته الظروف آنذاك إلى عدم العودة إلى بلاده والالتحاق بخدمة السلطان جلال الدين منكبرتي الذي قرب النسوي فعينه وزيرا عن السلطان في مدنية نسا وكاتبا خاصا له، كما عمل النسوي مترجما لجلال الدين في بلاد لم يكن جلال الدين يجيد فيها غير لغته التركية بينما كان النسوي يجيد عدة لغات.

ومنذ ذلك الحين توطدت علاقة النسوي بجلال الدين فاستعمله سفيرا لدى الملوك والحكام المجاورين لاسيما لدى الخلافة العباسية في بغداد، والشيعة الإسماعيلية في ألموت، وملوك بني أيوب في بلاد الشام الجزيرة، وبمرور الوقت غدا النسوي لجلال الدين صديقا حميما ومستشارا وناصحا أمينا، كما كان يرافقه في حله وترحاله وظل كذلك حتى فرق هجوم المغول الأخير بينه وبين جلال الدين في رمضان عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م عند مدينة حاني شمالي آمد من بلاد الجزيرة، فهرب النسوي وهرب جلال الدين، وبينما قتل جلال الدين بعدها بأيام قليلة في منتصف شوال على يد الأكراد؛ كان النسوي هائما على وجهه تلفظه الحوادث والأيام ويضطره هجوم المغول المتكرر إلى الانتقال من بلد إلى أخرى حتى قرر اللحاق بخدمة الملك المظفر شهاب الدين غازي في ميافارقين بناء على سابق المعرفة به حيث كان سفيرا لجلال الدين إليه من قبل.

وبعد مرور أربع سنوات على فراقه لجلال الدين (أي في عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)؛ قرر النسوي وهو مقيم بميافارقين أن يكتب باللغة الفارسية رسالته نفثة المصدور يبث فيها آلامه وأحزانه ويشتكي ما صنعه به الدهر وما آل إليه أمر دولة سيده جلال الدين ومفارقته له، ويُضَمِّن رسالته كثيرا من المعلومات والأخبار الخاصة به وبالسلطان جلال الدين وحروبه مع

المغول، ولم يكن النسوي وقت كتابته لهذه الرسالة على علم بمقتل جلال الدين؛ فلما تيقن من مقتله شرع في تأليف سيرة خاصة بمخدومه فكتب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي وأتمها في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م، وبعدها وعلى أثر خلاف وقع بينه وبين الملك المظفر شهاب الدين غازي؛ التحق النسوي بمقدم الخوارزمية الأمير بركة خان، فلما قتل بركة خان الخوارزمي عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م؛ التحق النسوي بخدمة الملك الناصر يوسف بن العزيز الأيوبي في مدينة حلب وظل يتكسب من صنعة الكتابة واستخدمه الناصر رسولا إلى المغول عدة مرات، وظل النسوي مقيما بحلب حتى وافته المنية بها في عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م.

أما عن رسالة نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور فتعد من الرسائل التاريخية المكتوبة بأسلوب أدبي بليغ، وهي تعرض ليوميات مؤرخ مسلم هارب من وجه المغول في وقت انهارت فيه معظم القوى الإسلامية أمام غزوهم، كما تعد هذه الرسالة من أهم ما وصلنا عن فترة الغزو المغولي للدولة الخوارزمية وحروب سلطانها الأخير جلال الدين منكبرتي مع المغول، حيث كان النسوي مرافقا للسلطان جلال الدين، ولعل ما رآه النسوي وشاهده كمؤرخ معاصر وشاهد عيان على الأحداث يعطي ما كتبه في رسالته قيمة كبرى.

ويأتي هذا البحث بعنوان: **المؤرخ محمد بن أحمد النسوي ورسالته نفثة المصدور** ليعرض بالدراسة والتحليل السيرة الذاتية لهذا المؤرخ وظروف كتابته لرسالة نفثة المصدور وقيمة ما كتبه فيها، وذلك من خلال مبحثين، يتناول أحدهما ترجمة النسوي، ويعرض الآخر لرسالة نفثة المصدور، وذلك انطلاقا من طرح عدة تساؤلات تمثل الإجابة عليها حلا لإشكالية هذا البحث، وهذه التساؤلات هي:

- من هو النسوي؟، وما هي ظروف حياته الخاصة قبل التحاقه بخدمة السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي؟
- ما موقف النسوي من غزو المغول للدولة الخوارزمية؟، وما طبيعة علاقته برجال الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية وبالسلطان جلال الدين نفسه؟
- ما هي ثقافة النسوي ومكانته ككاتب للإنشاء؟، ولماذا كان النسوي خاصة دون غيره سفيرا لجلال الدين لدى الملوك والحكام المسلمين؟، وما هي المهام السلطانية والسفارات التي كلف بها؟
- كيف كانت نهاية النسوي ووفاته؟
- ما تفسير عنوان رسالة نفثة المصدور، ومتى كتبها النسوي؟، ولماذا كتبها؟
- ما محتويات هذه الرسالة؟، وما قيمتها وأهميتها التاريخية؟

اتبع البحثُ المنهجَ التاريخي القائم على الوصف والتحليل والنقد معتمدا على مجموعة من المصادر يأتي على رأسها مؤلفات النسوي نفسه، وهي كتابان: الأول **رسالة نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور**، والثاني كتاب **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، حيث يشكل هذا الكتابان المادة الأساسية للبحث، وبينما يعرض البحث لرسالة نفثة المصدور في مبحث كامل كجزء من فكرة البحث ومشكلته؛ فإنه أفاد بشكل كبير من كتاب سيرة السلطان في استكمال كثير من المعلومات الناقصة عن النسوي وعن السلطان جلال الدين وحروبه مع المغول وعلاقته بالحكام المسلمين.

اعتمد البحث كذلك على كتابات أبي شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٨م)، وذلك في كتابه **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على**

الروضتين، حيث تحدث فيه عن النسوي كثيرا وأشار إلى اعتماده على ما كتبه في سيرة السلطان جلال الدين بشكل أساسي في حديثه عن المغول والدولة الخوارزمية وأخبار السلطان جلال الدين منكبرتي، وقد قام أبو شامة بتلخيص هذه السيرة في كتاب مستقل سماه **نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية وما كان فيهما من الوقائع التتارية**، وقد اعتمد البحث عليه كذلك، كما اعتمد البحث على ما كتبه **أبو الفداء** (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) في كتابه **المختصر في أخبار البشر**، وما كتبه **النويري** (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) في كتابه **نهاية الأرب في فنون الأدب**، وكذلك ما سجله **الذهبي** (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) في موسوعته **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** حيث أفاد البحث من هذه المصادر في عرضه لحروب جلال الدين مع المغول واستكمال المعلومات الناقصة لدى النسوي حتى تتضح الصورة كاملة، ونديم **لابن فضل الله العمري** (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ببعض المعلومات المهمة والنادرة سجلها في كتابه **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** عن النسوي نفسه وبداية عمله في الديوان الخوارزمي قبل مولد السلطان جلال الدين نفسه بسنوات، كما عرض العمري لنماذج من شعر النسوي ونثره، أما المؤرخ **زين الدين عمر بن الوردي** (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) فقد انفرد في كتابه **تتمة المختصر في أخبار البشر** المعروف **بتاريخ ابن الوردي** بمعلومات عن حياة النسوي بعد مفارقته للأيوبيين في ميافارقين منذ عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م وحتى وافته المنية بحلب في عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م.

واعتمد البحث أيضا على بعض المصادر الفارسية منها ما كتبه علاء الدين عطا ملك **الجويني** (ت٦٨١هـ/١٢٨٣م) في كتابه **تاريخ جهانگشاي** (تاريخ فاتح العالم –جنگيزخان)، وما كتبه المؤرخ الإيراني غياث الدين **خواندمير** (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م) في كتابه **دستور الوزراء**، **ورشيد الدين فضل الله الهمذاني** (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) في كتابه **جامع التواريخ**، وذلك عند

الحديث عن مواجهات جلال الدين مع المغول في مختلف المواقع التي ذكرها النسوي لا سيما خلال حملتهم الأخيرة التي فارق النسوي فيها جلال الدين في رمضان من عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م.

واستكمل البحث معلوماته من بعض المراجع الحديثة ومنها ما كتبه المؤرخ العراقي **عباس العزاوي** في كتابه **التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان** حيث تناول في عدد من صفحات هذا الكتاب لشخصيتين: الأولى محمد بن أحمد النسوي، والثاني الزيدري المؤرخ، وانتهى إلى القول بأن الرجلين إنما هما شخص واحد، كما عرض لمؤلفات النسوي ومنها رسالة نفثة المصدور وقيمة ما ورد فيها، أما الدكتور **فؤاد عبد المعطي الصياد** فقد حوى كتابه **مؤرخ المغول الكبير** رشيد الدين فضل الله الهمذاني بعض المعلومات القيمة عن رسالة نفثة المصدور وتاريخ كتابتها.

وحول شخص السلطان جلال الدين كتب الدكتور **محمد دبير سياقي** كتابه **السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ**، وكتب الدكتور **صبري عبد اللطيف سليم** بحثه بعنوان **السلطان الخوارزمي جلال الدين والمغول**، وقد أفاد البحث منهما في كثير من المواضع لا سيما في التعرف على حقيقة علاقة النسوي بالسلطان جلال الدين ومكانته لديه، أما مقالة المستشرق **بيتر جاكسون** ***P. Jackson*** التي كتبها عن النسوي في دائرة المعارف الإسلامية ***The Encyclopedia of Islam***، فقد تضمنت كثير من المعلومات القيمة عن اسم النسوي ولقبه وحياته بعد مفارقته للسلطان جلال الدين، ثم نهايته في حلب، وكذلك شهرته بين مؤرخي عصره وتأليفه لرسالة نفثة المصدور وكتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي.

وأخيرا فإن المؤرخ محمد بن أحمد النسوي يعد من المؤرخين النادرين الذين كتبوا تاريخهم عن تجربة معتمدا على المشاهدة والمعاينة، وهذه الدراسة

وإن غطت جزءا من حياته ورسالته نفثة المصدور؛ فإن ما كتبه النسوي في كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ما يزال في حاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث بما يكشف عن أهمية هذه السيرة وقيمتها وظروف تأليفها بحيث غدت مصدرا أساسيا للمؤرخين المسلمين بعد النسوي عند حديثهم عن المغول وغزوهم للعالم الإسلامي.

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما تناولت،

وأضفت بما كتبت جديدا في مجال التعريف بمؤرخي الإسلام ومؤلفاتهم.

والله من وراء القصد ---- الباحث

المبحث الأول:

ترجمة المؤرخ محمد بن أحمد النسوي

اسم النسوي ولقبه ونسبته:

ليست لدينا شكوك أو اختلافات حول الاسم الحقيقي للنسوي بعد أن ذكر بنفسه أنه هو محمد بن أحمد بن علي بن محمد[٢]، حيث أثبت معظم المؤرخين بعد النسوي هذا الاسم نقلا عنه واتفقت روايتهم عليه[٣]، وبالرغم

(٢) النسوى: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى، تحقيق حافظ أحمد حمدى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٣٣.

(٣) أبو شامة: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين العلائية والجلالية وما كان فيهما من الوقائع التتارية، وهو اختصار لكتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي للنسوي)، دراسة وتحقيق د. إبراهيم فرغل محمد، دار الفلاح، الفيوم، مصر (ط١)، ٢٠٠٨م، ص٧٠، وانظر أيضا لأبي شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تقديم وتصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل بيروت، (ط٢)، ١٩٧٤م، ص١٠١؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (ط١)، (د.ت)، ج٣ص١٢٢؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٧، تحقيق د. سعيد عاشور، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، د. فؤاد الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط١)، ١٩٨٥م، ص٢٠٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط٢)، ١٩٩٣م، ج٤٤ص٣٧١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، (ط٢)، ١٩٨٨م، ج٥ص١٤٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ج٤ص٣٠٧؛ الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١٥)، مايو، ٢٠٠٢م، ج٥ ص٣٢٠-٣٢١؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، (من حملة جنگيزخان حتى قيام الدولة التيمورية)، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، المجلس الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م، ص٤٧٥. وقد انفرد العمري برواية يذكر فيها أن النسوي هو أبو المؤيد محمد بن علي بن عثمان بن المؤيد، راجع كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، (ط١)، ١٤٢٣هـ، ج١٢ص٣١٤، ورغم ذلك فقد ذكره العمري في موضع أخر من كتابه باسمه الصحيح الوارد في المتن، مسالك الأبصار، ج٢٧ص٢٣٦، وذكر الدكتور شاكر مصطفى أن اسم النسوي هو محمد بن عبد الواحد. راجع كتابه التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، جزآن، دار العلم للملايين بيروت، (ط٣)، ١٩٨٧م، ج٢ص٤٠٧. ويميل البحث إلى الأخذ بما ورد في المتن نقلا عن النسوي نفسه.

من أن النسوي نفسه لم يذكر لنا لقبا له؛ أكدت رواية المصادر المتاحة على أن لقبه هو شهاب الدين محمد(٤) فعرف بالشهاب النسوي(٥)، كما ورد أنه لقب بنور الدين محمد(٦).

وقد نسب النسوي إلى قلعة خرندز أو زيدر(٧) التي ولد وعاش بها بمدينة نسا(٨) بإقليم خراسان، ولذلك عرف بالخرندزي(٩) والزيدري(١٠)

---

(٤) أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٧٠، والذيل على الروضتين، ص١٠١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٠٦، ص٢٤٩، ص٢٦٤، ص٢٨١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٤ص٣٧١، ج٤٥ ص٣٠٨، ص٣١٤؛ العمري: مسالك الأبصار، ج١٢ص٣١٤؛ ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٩٩٦م، ج٢ص١٧٧؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٣؛ بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت (ط١)، ١٩٨١م، ص١١٠؛ عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان (٦٠١-٩٤١هـ/١٢٠٤-١٥٣٤م)، وزارة المعارف بغداد، ١٩٥٧م، ص٦٢؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٤٠٧.
P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, Leiden- New York, E.J. Brill, 1993, p:973.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٤ص٣٧١، ج٤٥ص٣٠٨، ص٣١٤.

(٦) النسوي: نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور (يوميات هارب من وجه المغول) حول سقوط الدولة الخوارزمشاهية وهجوم المغول، مع مقدمة أمير الشعراء رضا قلي خان هدايت الطبري لله باشي سنة ١٢٨١م، دراسة وترجمة وتعليق د. عادل عبد المنعم سويلم، القاهرة ٢٠٠٤م، (دون ذكر دار نشر)، ص٨٣، ص٩٠-٩١، ص٩٣-٩٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٤٧٥؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، دار الكاتب العربي بالقاهرة، (ط١)، ١٩٦٧م، ص٢٢٤.

(٧) **زيدر أو خرندز أو خرندر**: قلعة حصينة منيعة بمدينة نسا بخراسان، تكتب خرندز وخرندر، وكذلك زيدر، وقد نسب إليها النسوي فعرف بالزيدري والخرندزي. النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٧٩ حاشية (١).

(٨) الزركلي: الأعلام، ج٥ص٣٢٠-٣٢١. **ونَسَا**: مدينة مشهورة بخراسان، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام، وقد أورد ياقوت الحموي رواية في سبب تسميتها بنسا تقول إن المسلمين لما وردوا خراسان قصدوها فبلغ أهلها فهربوا ولم يتخلف بها غير النساء فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجلا فقالوا: هؤلاء نساء والنساء لا يقاتلن فننسأ أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن، فتركوها ومضوا فسميت نساء وخففت إلى نسا، والنسبة إليها نسائيّ ونسويّ، ونسا مدينة =

الخراساني، وكان النسوي قد ورث هذه القلعة عن آبائه وأجداده حيث عاش بها طفولته وشبابه وظل مقيما بها محتميا بمناعتها وقت هجوم المغول على إقليم خراسان في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م(١١).

على أن معظم المؤرخين قد نسبوا النسوي إلى مسقط رأسه في مدينة نسا ذاتها، فعرف بالنسائي والنسويّ(١٢)، كما نسبوه إلى وظيفة الإنشاء التي عمل بها في عهد السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي(١٣) فعرف في كتبهم باسم "المنشئ النسوي كاتب إنشاء السلطان جلال الدين الخوارزمي"، وكان

= كثيرة الوباء، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم منهم الحافظ النسائى صاحب كتاب السنن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (ط٢)، ١٩٩٥م، ج٥ ص٢٨١-٢٨٢.

(٩) العمري: مسالك الأبصار، ج١٢ص٣١٤؛ وراجع كذلك:

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p:973.

(١٠) عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦٢-٦٣؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون، ج٢ص٤٠٧.

(١١) تحدث عباس العزاوي عن اثنين من المؤرخين أحدهما محمد بن أحمد النسوي المنشئ، والثانى باسم محمد الزيدري المؤرخ، وقد قطع الأمر في حديثه على أن الرجلين واحد كما أكد ذلك العالم الإيرانى محمد عبد الوهاب القزوينى الذي قال بأن الرجل عرف بالزيدري في إيران، بينما عرف بالنسوي في بلاد العرب وبخاصة في بلاد الشام والجزيرة. لمزيد من التفاصيل، عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦٢-٦٣، ص٦٧؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون، ج٢ص٤٠٧.

(١٢) أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٧٠؛ العمرى: مسالك الأبصار، ج١٢ص٣١٤؛ الزركلى: الأعلام، ج٥ص٣٢٠-٣٢١.

(١٣) **جلال الدين منكبرتي**: الابن الأكبر للسلطان الخوارزمى علاء الدين محمد خوارزم شاه، حكم الدولة الخوارزمية خلال الفترة (٦١٧-٦٢٨هـ/١٢١٩-١٢٣٠م) خلفا لوالده الذي مات هاربا أمام المغول، وبعد هزيمة جلال الدين أمام جنگيزخان في موقعة بروان عام ٦١٨هـ/١٢٢١م؛ هرب جلال الدين إلى الهند، ثم عاد وحاول استرداد ملكه المسلوب، وظل يقاتل المغول فيهزمهم تارة ويهزمونه تارة حتى مات مقتولا في جبال الأكراد في شوال عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م. النويرى: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٥٢ وما بعدها. وقد كتب المؤرخ محمد بن أحمد النسوي سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي في كتاب نشره الأستاذ حافظ حمدي بالقاهرة في عام ١٩٥٣م.

ذلك هو ما عرف به النسوي واشتهر في مصادر المؤرخين ورواياتهم التي نقلوها عنه(١٤)، كما أكد هو نفسه على نسبته هذه وأنه هو "المنشئ النسوي"(١٥)، ومحمد المنشئ(١٦).

- **مولد النسوي ونشأته:**

ركزت المصادر المتاحة على علاقة محمد بن أحمد النسوي بالسلطان جلال الدين منكبرتي وتوليه رئاسة ديوان الإنشاء لهذا السلطان وتنقله معه في حله وترحاله خلال فترة الحرب بين جلال الدين والمغول، وفي ظل ذلك أهملت هذه المصادر الحديث عن شخص النسوي نفسه، فلم تذكر لنا أية معلومات عن مولده أو حياته الخاصة قبل التحاقه بخدمة جلال الدين في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م.

وقد أورد المؤرخ ابن فضل الله العمري رواية ذكر فيها نص رسالة كتبها محمد بن أحمد النسوي من الديوان الخوارزمي إلى ديوان الخلافة العباسية، وأن هذه الرسالة قد وصلت إلى بغداد "في الرابع والعشرين من

---

(١٤) أبو الفداء: المختصر، ج٣ص١٢٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٠٦؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٢٧ص٢٣٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٤ص٢٣؛ ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢ص١٥٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤ص٣٠٧؛ العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦١-٦٢؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ، ترجمة وتقديم د. أحمد الخولي، المركز القومى للترجمة، القاهرة، (ط١)، ٢٠٠٩م، ص٦٧؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٤؛

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p:973.

(١٥) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٣.

(١٦) النسوي: نفثة المصدور، ص٢١٢؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٧٠؛ ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢ص١٧٧؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٣.

ربيع الأول" سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م[١٧]، وإذا افترضنا أن النسوي كان يبلغ العشرين من العمر في تلك السنة حيث أصبح مؤهلا في هذا السن للعمل كاتبا في الديوان الخوارزمي؛ فإنه يمكننا أن نحدد تاريخ مولد النسوي بأنه كان في حدود عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م على وجه التقريب.

وإذا كان السلطان جلال الدين منكبرتي نفسه قد ولد في حدود عام ٥٩٢هـ/ ١١٩٥[١٨]؛ فمعنى هذا أن النسوي كان يعمل كاتبا في الديوان الخوارزمي قبل مولد جلال الدين بسنوات، وأنه كان يكبر السلطان جلال الدين بما يقارب اثنين وعشرين عاما على الأقل، وقد يرجح هذا الرأي قيام النسوي بدور الناصح الأمين للسلطان جلال الدين في مواقف كثيرة خلال حربه مع المغول[١٩].

وندين للنسوي نفسه بمعلومات مهمة سجلها عن حياته الخاصة وبخاصة فترة وجوده في مدينة نسا وقت هجوم المغول على إقليم خراسان، ويستفاد من هذه المعلومات أن النسوي قد ورث قلعة زيدر أو خرندز بمدينة نسا عن آبائه وأجداده وأنه ولد ونشأ بها كما سبق القول، حيث ذكر أنها "مسقط رأسه ومنشأ أساسه"[٢٠]، كما أنه أورد ذكر هذه القلعة كثيرا على أنها "قلعته"[٢١]، ووصفها بأنها "من أمهات قلاع خراسان، ولست أعرف أول من ملكها من أسلافي، وقد اختلفت الأقاويل فيها حسب الأهواء، وليس

(١٧) العمري: مسالك الأبصار، ج١٢ص٣١٥، حيث أورد نص الرسالة كاملا، ج١٢ص٣١٥-٣١٧.

(١٨) صبري سليم: السلطان الخوارزمى جلال الدين والمغول، بحث مقدم إلى أكاديمية العلوم بجمهورية أوزبكستان للعرض في المؤتمر العلمى في طشقند في الفترة من (٤-٨) نوفمبر ١٩٩٩م، بإشراف هيئة اليونسكو العالمية، ص٣.

(١٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٢٣، ص١٤٣-١٤٥؛ سيرة السلطان، ص٣٥١-٣٥٢.

(٢٠) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٧٩.

(٢١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٢٣.

يمكنني أن أذكر إلا الصحيح، وهم يعتقدون أنها في أيديهم من بدء الإسلام وانتشار صبحه بخراسان، والله أعلم بذلك"[٢٢].

ويمكن القول بأن محمد بن أحمد النسوي كان من أعيان مدينة نسا ووجهائها وقت الغزو المغولي لإقليم خراسان، وأنه كان ينتمي إلى أسرة عريقة معروفة في هذا الإقليم، وأن هذه الأسرة كانت على علاقة قوية مع سلاطين الدولة الخوارزمية منذ القدم، وبناءً على ما سبق فإن النسوي نفسه قد عاصر السلاطين الثلاثة الأواخر للدولة الخوارزمية: السلطان أبو المظفر تكش بن إيل أرسلان[٢٣] (٥٨٩-٥٩٦هـ/ ١١٩٣-١١٩٩م)، وابنه

---

(٢٢) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١١٦-١١٧؛ وراجع أبا شامة: نزهة المقلتين، ص١٢٤، ص١٢٧؛ راجع أيضا:

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 973.

(٢٣) **علاء الدين تكش**: السلطان أبو المظفر ابن إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين الخوارزمي، كان سلطانا جوادا، شجاعا، اتسعت الدولة الخوارزمية في عهده فامتدت في خراسان وسجستان وما وراء النهر، وقوي جيشه حتى بلغ مائة ألف جندي، وكان يقود الجيش بنفسه وذهبت عينه بسهم، وقد تمكن من القضاء على دولة السلاجقة، وكان حاذقا بلعب العود، عنده آداب ومعرفة بمذهب أبي حنيفة، بنى مدرسة بخوارزم، وله المقامات المشهورة، كان قد ألم به المرض فأشير عليه بترك الحركة فامتنع وسار قاصدا بغداد فاشتد مرضه فمات في دهستان في رمضان ٥٩٦هـ/١١٩٩م، فحمله ابنه علاء الدين محمد ودفنه بمدرسته في خوارزم. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٤)، ٢٠٠٣م، ج١٠ص٢٦٦-٢٦٧؛ أبو الفداء: المختصر، ج٣ص١٠٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٠٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء تحقيق بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط ١١)، ١٩٩٦م، ج٢١ص٣٣٠-٣٣٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٣ص٢٦٨-٢٦٩؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص١٧؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، (ط١) ١٩٥٢م، ج٨ق٢ص٤٧١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١١٤.

السلطان علاء الدين محمد[٢٤] (٥٩٦-٦١٧هـ/١١٩٩-١٢٢٠م) وأخيرا السلطان جلال الدين منكبرتي (٦١٧-٦٢٨هـ/١٢٢٠-١٢٣٠م) الذي عمل النسوي في خدمته وارتبط معه بعلاقة قوية.

وقد أشار النسوي[٢٥] بنفسه إلى استقباله وزير السلطان علاء الدين محمد في مدينة نسا نيابة عن أبيه قبل هجوم المغول بقيادة جنگيزخان على دولة الخوارزميين، كما ذكر بعض أفراد عائلته الذين عملوا مع السلطان علاء الدين وابنه جلال الدين منكبرتي وخدموا في الحرب ضد المغول، حيث ذكر

---

(٢٤) **علاء الدين محمد**: السلطان الخوارزمى ابن علاء الدين تكش، حكم الدولة الخوارزمية بعد والده خلال الفترة (٥٩٦-٦١٧هـ/١١٩٩-١٢٢٠م) وهو والد السلطان جلال الدين منكبرتي، كان يلقب في حياة والده بقطب الدين، فلما تولى السلطنة تلقب بلقب أبيه علاء الدين، وكان سلطانا مهيبا شجاعا، شهما، مغوارا، غزاء، سعيدا، يقطع المسافات الشاسعة بسرعة، وكان هجاما، قال عنه ابن الأثير: كان صبورا على التعب وإدمان السير، غير متنعم ولا متلذذ، إنما نهمته الملك، تغلّب على البلاد واتّسع ملكه فإنه ملك من حدود العراق إلى تركستان وبلاد غزنة وبعض الهند وسجستان وكرمان وبعض فارس وطبرستان وجرجان واستولى على بلاد الخطا ولم يزل على ذلك إلى أن ابتلى بغزو المغول وجنگيزخان، أفنى ملوك خراسان وما وراء النهر، وأخلى البلاد، واستقل بها، فكان سببا لهلاكه، وكان علاء الدين موصوفا بالفضل والعفة وعنده علم بالفقه والأصول وكان العلماء يلازمون مجلسه حيث كان يكرمهم ويحب مناظرتهم، ويتبرك بأهل الدين، توفي هاربا أمام المغول في جزيرة آبسكون من بحر قزوين سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م وكفن في عمامة لفراشه. ابن الأثير: الكامل، ج١٠ص٤٠٧-٤٠٨؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص١٢٢، ونزهة المقلتين، ص١٢٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٠٦-٢٠٧، ص٢٥٠-٢٥١؛ ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامى، إيران، (ط١)، ١٤١٦هـ، ج٢ص٣٥٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢ص٢٧٥؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٢٢ص١٣٩-١٤٣؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٣١-١٣٢؛ وقد ترجم له سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٦١٥هـ، راجع مرآة الزمان ج٨ص٥٩٨-٦٠٠.

(٢٥) سيرة السلطان جلال الدين، ص٧٩.

اسم ابن عم له يدعى "سعد الدين جعفر بن محمد"[٢٦].

لقد كان النسوي رجلا متواضعا حقا، إذ إننا نلمس في كتاباته وصفه لنفسه كثيرا بالعبد الحقير، والعبد الضعيف[٢٧]، رغم تلك المكانة الرفيعة والمقام العالي الذي ناله في بلاط السلطان جلال الدين منكبرتي.

- **موقف النسوي من الغزو المغولي للدولة الخوارزمية:**

عاصر النسوي أحداث الغزو المغولي الأول بقيادة جنگيزخان على بلاد الشرق الإسلامي، وروى كثيرا من تفاصيل ذلك الغزو في مؤلفاته، وقد كان النسوي وقت هجوم المغول لأول مرة مقيما في مدينته نسا التي شاء حظها ألا تكون على مسار هروب السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد أمام المغول من عند حدود بلخ[٢٨] حتى نيسابور[٢٩] ثم إلى مازندران[٣٠]، لكن هذا

---

(٢٦) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٢٩.

(٢٧) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٩، ص١٣٥، ص١٤٣، ص١٤٥.

(٢٨) **بلخ**: مدينة مشهورة في شرقى خراسان من أجل مدنها وأكثرها خيرًا، وكانت في زمن اليعقوبي (ت٢٧٨هـ/٨٩١م) مدينة خراسان العظمى. اليعقوبي: كتاب البلدان، طبع ليدن ١٨٩١م، نشر دار صادر، بيروت (د.ت)، ص٢٨٧-٢٨٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١ص٤٧٩-٤٨٠.

(٢٩) **نيسابور**: مدينة كبيرة من مدن خراسان، وهى حسب تقسيم الجغرافيين المسلمين تمثل الربع الغربي من هذا الإقليم، وتسمى نيسابور بالفارسية نيشابور، بناها سابور الأول بن أردشير، وجدد بناءها الملك سابور الثاني الساساني ونسبت إليه، وهى مدينة عامرة كثيرة الخيرات من أفضل مدن خراسان. راجع كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٢)، ١٩٨٥م، ص٤٢٤-٤٢٥.

(٣٠) **مَازَنْدَرَان**: اسم لولاية طبرستان حيث ينطقها العجم مازندران، وهى بلاد معروفة تقع بين الري وقومس وبحر الخزر، أرضها كثيرة الأشجار والمياه والأنهار إلا أن هواءها وخم جدا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥ص٤١؛ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (د.ت)، ص٤٠٣.

السلطان نفسه كان قد أرسل إلى أهل نسا يقول لهم: "إن هذا العدو ليس كسائر العساكر، والرأي تخلية البلاد والتسحب إلى البراري والجبال ريثما يجمعون من الغارات ما تمتلئ به أعينهم وأيديهم فيرجعون ويسلم الناس من فاجئ ركضتهم، ثم لو قدر لأهل نسا على عمارة قلعتهم - وكان السلطان قد خربها - أذنا لهم في عمارتها والتحصن بها"(٣١).

ولم تسلم مدينة نسا ذاتها من هذا الهجوم المغولي الأول، وقد جعلها النسوي أول موضع في خراسان يستولي عليه المغول(٣٢)، وهو يصف لنا بنفسه أحداث الغزو المغولي لنسا فيقول أن جنگيزخان - وكان آنذاك عند مدينة الطالقان(٣٣) شرقي خراسان - جرد إلى خراسان صهره "تفجار نوين" وأحد الأمراء الآخرين من المغول يدعى "يركا نوين"، وكان برفقتهما عشرة آلاف فارس لنهب خراسان وإحراقها، فوصلت فرقة من هذه الحملة المغولية إلى مدينة نسا بقيادة أمير مغولي اسمه "بيل كوش"، فرماه أهل نسا برمح في صدره فقتلوه، فنقم المغول على أهل نسا وقدموا حصارها على سائر المدن الخراسانية، فضربوا عليها حصارا دام خمسة عشر يوما ونصبوا حيالها عشرين منجنيقا لرشقها بالحجارة، ثم زحفوا عليها ليلا فملكوا السور وانتشروا عليه، ثم نزلوا على الناس فساقوهم إلى فضاء وراء البساتين بالصغار والنساء، ثم أمروهم أن يكتف بعضهم بعضا ففعلوا ذلك خذلانا، وإلا فلو تفرقوا

---

(٣١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١١٦؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٢٣-١٢٤؛ بارتولد: تركستان، ص٦٠٠-٦٠١.

(٣٢) النسوي: سيرة السلطان، ص١٢٣؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٣١؛ بارتولد: تركستان، ص٦٠٠.

(٣٣) **الطالقان**: مسمى يطلق على بلدتين، إحداهما -وهى المقصودة -تقع بين بلخ ومرو الروذ بخراسان، والأخرى تقع بين قزوين وأبهر وتعرف بطالقان قزوين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤ص٦-٧.

وطلبوا الخلاص عدوا من غير قتال، والجبل قريب لنجا أكثرهم، فحين كتفوا بعضهم بعضا قتلهم المغول، فكان عدد القتلى سبعين ألفا"(٣٤).

ويروي النسوي(٣٥) أنه قد تمكن من أن يحفظ قلعة زيدر أو خرندز في نسا من هجوم المغول بفضل حنكته وسياسته، فيذكر أنه أثناء استيلاء المغول على إقليم خراسان ونسا، وفي اليوم الثالث من سقوط مدينة نسا؛ وصل القائد المغولي "ناجن نوين" أحد قادة جنگيزخان، وتمركز تجاه جانب واحد من القلعة، وهو الجانب الذي يمكن عن طريقه النزول منها إلى ظاهر البلد، فلما أدرك القائد المغولي حصانة القلعة وقوتها وصعوبة الوصول إليها؛ أرسل إلى من بها يطلب منهم فداء أنفسهم من الهجوم بمبلغ مالي كبير وعشرة آلاف ذراع من القماش وطلبات أخرى، فأرسل إليه النسوي ما طلبه حماية للقلعة ومن بها حتى رحل المغول عنها.

كما يشير النسوي(٣٦) أنه كان يستقبل في هذا القلعة الكثير من الهاربين أمام هجوم المغول، ويقول بأن قلعته تلك كانت آنذاك "مهربا للأسرى وملجأ للخائفين"، وأنه كان يستقبلهم ويؤمن خوفهم ويكسو عاريهم وينعم عليهم ويعيد من استطاع منهم إلى أهله.

وقد ذكر لنا النسوي(٣٧) أيضا أنه كان يعمل وقت هجوم جنگيزخان بقواته على خراسان في خدمة الأمير اختيار الدين زنكي بن محمد بن حمزة أمير مدينة نسا آنذاك، وأنه قد حضر مع هذا الأمير استعداداته لملاقاة المغول، وما

---

(٣٤) النسوي: سيرة السلطان، ص١١٣-١١٥؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٢٤-١٢٦.

(٣٥) سيرة السلطان جلال الدين، ص١٢٤-١٢٥؛ كذلك:

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 973.

(٣٦) سيرة السلطان جلال الدين، ص١١٦-١١٧؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٢٧.

(٣٧) سيرة السلطان جلال الدين، ص١٢٧؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٣٥؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٣.

قام بجمعه من مال وعتاد ومعونات للسلطان جلال الدين خلال حربه مع المغول في خراسان وسجستان قبل هروبه إلى الهند بعد موقعة نهر السند في عام ٦١٨هـ/١٢٢١م، كما يؤكد النسوي[٣٨] أنه حضر بنفسه وشاهد استيلاء المغول على مدينة جرجان[٣٩] في شهور عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م، وأن هذه الواقعة قد رمت به إلى حاكم جرجان فأقام عنده مدة بقلعة همايون حتى تمكن من العودة إلى قلعته زيدر بنسا سرا مرة أخرى[٤٠].

وقد تألم النسوي كحال غيره من المؤرخين المسلمين لما فعله المغول ببلاد الإسلام عامة، وأبدى النسوي تألمه الشديد لمصاب الخوارزميين وزوال ملكهم بعد أن كانوا سدا منيعا للمسلمين من جهة الشرق أمام زحف المغول حيث توغل العدو بعدها وانتهك الحرمات وأذل الأهلين[٤١]، يقول المؤرخ عباس العزاوي[٤٢]: "ومن كلام النسوي[٤٣] عن هذه الحقبة، نعلم أنه قد تلاطمت أمواج الفتن واضطربت أحوال العالم، وبلغ السيل الزبى، بل تجاوزه إلى طوفان لا يدرك غوره، فتحقق

(٣٨) سيرة السلطان جلال الدين، ص١٣٩؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٤٢؛
P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 973-974.

(٣٩) **جرجان**: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان جنوبي بحر قزوين، يعدها كثيرون من خراسان، قيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها عدد كبير من الأدباء، والعلماء، والفقهاء، والمحدثين، ولها تاريخ معروف ألفه حمزة بن يزيد السهمي (ت:٤٢٧هـ)، وأهلها أحسن وقارا، وأكثر مروءة، ويسارا، وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنا من جرجان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢ص١١٩-١٢٠؛ لسترنج: بلدان الخلاف الشرقية، ص٤١٧.

(٤٠) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٣٩. وهو يذكر أن حاكم جرجان آنذاك هو الإصبهبذ عماد الدولة نصرة الدين محمد بن كبود خامه.

(٤١) العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦٢.

(٤٢) التعريف بالمؤرخين، ص٦٥.

(٤٣) في رسالته نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور.

الهلاك، وتعين الموت، فلا مفر منه ولا يؤمل في سلامة، جرفت الحروب النفوس، وما مرت بشيء إلا جعلته هشيما، تبدلت الحالات، وتنوعت المصائب، حتى قيل لا عاصم اليوم من أمر الله".

في هذا الجو وفي هذه الظروف المروعة عاش المؤرخ محمد بن أحمد النسوي مسجلا عن قرب ومشاهدة أحداث الغزو المغولي كما رآها وعاصرها، وكانت كتاباته عنها من الكتابات المبكرة عن بداية ظهور المغول وتاريخ قائدهم جنگيزخان وما فعله بدولة الخوارزميين، وكان النسوي نفسه واقعا تحت سطوة هذا الغزو المغولي ومشاركا في مجابهته، ولعل في هذا ما يعكس قيمة ما كتبه في هذا الشأن.

- **التحاق النسوي بخدمة السلطان جلال الدين منكبرتي:**

يروي النسوي(٤٤) ظروف التحاقه بخدمة السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي فيذكر أنه قبلها خدم بعض الأمراء المحليين في نسا منهم الأمير نصرة الدين حمزة بن محمد بن عمر بن حمزة أمير مدينة نسا آنذاك، كما يقول إنه قد عمل في خدمة ابن عم نصرة الدين والأمير الذي سبقه في حكم المدينة، كما عمل النسوي في خدمة إينانج خان وزير السلطان جلال الدين في مدينتي نسا وجرجان، ويذكر أنه قد حضر بنفسه مع إينانج خان موقعة ضد فرقة من المغول نيابة عن صاحب نسا(٤٥).

وفي شهور عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م كان النسوي موفدا من قبل الأمير

(٤٤) سيرة السلطان جلال الدين، ص١٨٧؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٣.

(٤٥) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٣٦؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٣.

نصرة الدين حمزة أمير نسا إلى غياث الدين بيرشاه(٤٦) أخي السلطان جلال الدين منكبرتي - وكان آنذاك في مدينة الري(٤٧)- ليقدم له الأموال والضرائب المستحقة من نسا، ولما وصل النسوي وجد أن السلطان جلال الدين منكبرتي قد أزاح أخاه غياث الدين عن الحكم وتقلد السلطة مستقلا بها، وكان جلال الدين آنذاك قد وصل إلى أذربيجان(٤٨) في شمالي غرب إيران

---

(٤٦) **غياث الدين بيرشاه**: الأمير أبو المؤيد غياث الدين ابن السلطان الخوارزمى علاء الدين محمد، كان يصغر أخاه جلال الدين منكبرتي بخمس سنوات، وقد أقطعه والده بلاد كرمان ومكران، عرف بالشجاعة وحسن السيرة، وكان غياث الدين مقيما مع والدته بكرمان وقت هجوم جنگيزخان على خوارزم وهروب والده علاء الدين أمام المغول، وقد استدعاه أخوه جلال الدين إليه في أصفهان بعد عودته من الهند عام ٦٢١هـ، فقدم إليه غياث الدين وأقام عنده مدة مطيعا له منقادا، ثم عاد إلى كرمان، ومات بها مقتولا على يد زوج أمه براق الحاجب. أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٠٩-٢١٢؛ رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنگيزخان من أوگتاي قاآن إلى تيمور قاآن) ترجمة د. فؤاد عبد المعطى الصياد، مراجعة د. يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، (ط١)، ١٩٨٣م، ص٤٧-٤٨؛ ابن الفوطى: تلخيص مجمع الآداب، ج٢ ص٤٣٣-٤٣٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٧٨-٢٧٩؛ ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢ص١٥٤؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٥٣؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٠٢-١٠٣، ص١٠٨-١٠٩، ص١٣١-١٣٢.

(٤٧) **الري**: قصبة بلاد الجبال، وهي مدينة كبيرة مشهورة عظيمة كثيرة الخيرات، لكن المغول قد خربوا أكثرها سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣ص١١٦-١١٧.

(٤٨) **أذربيجان**: إقليم واسع معروف يقع في شمالي غرب إيران، قصبته مدينة مراغة، ومن أشهر مدنه أيضا تبريز وخوي وأورميه وأردبيل...، وغير ذلك، كانت مقر حكم السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي بعد عودته من الهند في زمن ياقوت الحموي الذي أفاض في وصف أذربيجان فذكر أنها مملكة عظيمة يغلب على جغرافيتها الجبال والقلاع، وأن بها الخيرات الوفيرة والبساتين المتنوعة والفواكه والمياه الغزيرة، وأن أهلها صباح الوجوه، رقاق البشرة، فيهم لين وحسن معاملة، ولهم لغة لا يفهمها غيرهم تسمى اللغة "الأذرية"، غير أنها بلاد فتنة وحروب دائمة، فلذلك أكثر مدنها خراب. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج١ص١٢٨-١٢٩.

بعد عودته من الهند أواخر عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م[٤٩].

وعلى ذلك يمكن القول بأن البداية الحقيقية لالتحاق النسوي بخدمة السلطان جلال الدين كانت في شهور عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، ذلك أن النسوي كان قد قرر اللحاق بجلال الدين في أذربيجان وتقديم الأموال التي جاء بها إليه[٥٠]، وقد استغرقت رحلة النسوي إلى أذربيجان مدة شهرين حيث تعرض خلالها لكثير من المتاعب في طريقه، وقبل لقاء النسوي بالسلطان؛ التقى بوزيره شرف الملك خواجه جهان[٥١]، وقد لاطفه الوزير ووعده "بتمشية الحال وقضاء الأشغال"، وصدر أمر السلطان جلال الدين بإقرار الأمير نصرة الدين في حكم مدينة نسا وما تحت يده من بلاد، كما عين مع النسوي من يصحبه إلى نسا لتنفيذ حكم السلطان بعزل إينانج خان عن الوزارة وإحضاره للمثول بين يدي السلطان، وحتى هذا التوقيت لم يكن قد ورد بخاطر النسوي البقاء إلى جوار السلطان جلال الدين أو خدمته، فلما ورد الخبر بمقتل الأمير نصرة الدين على يد ابن إينانج خان بعد أن أخرجه من قلعة نسا، وأن يد إينانج وأبنائه قد طالت عائلة النسوي وبيته وماله بنسا؛ هنا قرر النسوي ألا يعود إلى موطنه واختار البقاء إلى جوار السلطان جلال الدين والانضمام إلى حاشيته[٥٢].

---

(٤٩) النسوي: سيرة السلطان، ص١٨٧، ص١٩١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٣-١٤٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٤٧٥؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول، ص٢٢٤-٢٢٥؛

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(٥٠) النسوي: سيرة السلطان، ص١٩٤-١٩٥؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٤٧٥؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥.

(٥١) سوف يرد بعد قليل التعريف بهذا الوزير.

(٥٢) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٨٧، ص١٩١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٣؛

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

ولم يكن النسوي آنذاك تربطه علاقة قوية ترتقي إلى "الصداقة" بالسلطان جلال الدين، غير أنه بحكم التبعية الإدارية لبلدته نسا لدولة الخوارزميين، كان النسوي يحترم السلطان جلال الدين بوصفه ولي عهد السلطان الراحل علاء الدين محمد، وعليه فإن وصول النسوي إلى ما وصل إليه من مكانة إدارية وعلاقة ود وصداقة بالسلطان جلال الدين قد تولدت مع رحلته لمقابلة السلطان جلال الدين في أذربيجان.

أما عن ظروف تولي النسوي رئاسة ديوان الإنشاء ومهمة الكتابة للسلطان جلال الدين، فلقد حكى لنا بنفسه أنه في الوقت الذي كان فيه السلطان جلال الدين قد قرر التوجه إل كنجه(٥٣) ومراغة(٥٤) لاستخلاصها من أيدي الكرج(٥٥)، أصدر أمره بأن يتولى النسوي رئاسة ديوان الإنشاء للسلطان، يقول النسوي(٥٦): "وفي نهاره ذلك، فوض إلي كتابة الإنشاء،

---

(٥٣) **كَنْجَةُ**: وتسمى كذلك "جَنْزَةُ"، مدينة عظيمة قصبة بلاد أرّان بين شروان وأذربيجان، خرج منها جماعة من أهل العلم، تنسب إليها الثياب الكنجية، وكنجة أيضا من نواحي لرستان بين خوزستان وأصبهان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢ص١٧١، ج٤ص٤٨٢. وقد نزل المغول بمدينة كنجة بأرّان لأول مرة سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م فدافع عنها أهلها المعروفون بالشجاعة وكثرة العدد فعدل عنها المغول مؤقتا. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، (ط٢)، ١٩٨٠م، ص٤٩٦-٤٩٧.

(٥٤) **مراغة**: قصبة إقليم أذربيجان، تقع جنوبي مرتفعات سهند جنوبا من تبريز على مسافة ١٣٠كم، وهي مدينة كثيرة البساتين والأشجار، والخيرات والغلات، وبها آثار قديمة للمجوس، وبها مدارس وخانقاوات حسنة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥ص٩٣-٩٤؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٦٢-٥٦٣.

(٥٥) **الكرج**: أهالى جورجيا، وكانوا قد استهزئوا بجلال الدين وسخروا من ضعفه وقتل المغول لأهله وقضائهم على دولة أبيه علاء الدين الذي كان أكثر قوة وبطشا من جلال الدين كما يقولون، ولم يثن ذلك جلال الدين عن محاربتهم وإيقاع الهزائم المتتالية بهم. النسوي: سيرة السلطان، ص١٩٧-١٩٨.

(٥٦) سيرة السلطان، ص١٩٤-١٩٥؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٧١؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥.

فتقلدتها على كره مني لذلك، استحقارا بها من قلة تجربة وعدم خبرة، وذهولا عما فيها من مواد متواصلة الأمداد، وقد حصل لي في يوم واحد من منافع الإنشاء وفوائده ما فوق ألف دينار، وأما ما دون ذلك في سائر الأيام فمادة لا تنقطع، فصرت أقاتل من يزاحمني عليها".

وقد طلب النسوي من السلطان جلال الدين أن يجعله وزيرا في مدينة نسا فوافق السلطان واشترط عليه أن ينيب عنه فيها أحد ثقاته ويبقى هو إلى جوار السلطان في أذربيجان فامتثل النسوي لأمر السلطان جلال الدين وظل مرافقا له(٥٧)، يقول النسوي(٥٨) عن ظروف توليه وزارة نسا: "فلما وردت من نسا رسولا وتعذر العود جذبتني جذبات العناية، فارتقيت من حالة إلى أخرى، إلى أن تقلدت كتابة الإنشاء، وضاق الأمر على ضياء الملك(٥٩)، فلم يختر المقام بالباب السلطاني، فحرص على الاستطراف، وتولى وزارة نسا على ضيق رقعتها، وحملته الشحناء على المبالغة في أذية من له أدنى تعلق بي من قرابة أو صداقة أو خدمة، إلى أن فوض إلي السلطان وزارتها مشروطة بألا أفارق الباب، بل أستنيب فيها من أثق به، ففعلت، وعاد ضياء الملك إلى الباب معزولا عن المنصب".

وعلى ما سبق يمكن القول بأن محمد بن أحمد النسوي لم يلتحق بخدمة السلطان جلال الدين إلا في السنوات الأخيرة من عمر هذا السلطان، حيث

---

(٥٧) النسوي: سيرة السلطان، ص٢٥١-٢٥٢؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥.

(٥٨) سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٥١-٢٥٢؛

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(٥٩) كان ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوي يتولى ديوان الإنشاء والعرض للسلطان جلال الدين قبل النسوي، وتوفي بعدها بقليل في ذات العام. النسوي: سيرة السلطان، ص٢٥١؛

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

ظل النسوي كاتب إنشاء السلطان منذ عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م حتى وفاة جلال الدين في شوال من عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، أي أن خدمته للسلطان جلال الدين لم تتجاوز السنوات الست الأخيرة من عمر هذا السلطان، وهي الفترة التي كانت أكثر تأزما وحروبا متبادلة بين جلال الدين والمغول وبينه وبين الحكام المناوئين له(٦٠).

- **ثقافة النسوي ومكانته ككاتب للإنشاء:**

عاش النسوي في شرقي العالم الإسلامي متنقلا بين مدن وبلدان تتحدث بلغات مختلفة، ولقد أشار بنفسه أنه وصل لمرتبة ديوان الإنشاء والكاتب الخاص للسلطان جلال الدين بسبب معرفته وثقافته الواسعة في اللغتين الفارسية والعربية، بالإضافة إلى إتقانه للغة التركية(٦١).

ولقد كانت هذه اللغات الثلاث هي السائدة في المكاتبات الرسمية والمراسلات بين الحكام والملوك والأمراء في شرقي العالم الإسلامي منذ عهد مبكر، ومن المؤكد أن إجادة النسوي لهذه اللغات الثلاث كانت سببا رئيسا في اختيار السلطان جلال الدين له ليكون كاتبه الخاص ورئيسا لديوان الإنشاء، لا سيما أن جلال الدين نفسه لم يكن يجيد من كل تلك اللغات غير لغته التركية مع معرفة متواضعة للغة الفارسية(٦٢)، وكانت تأتيه المراسلات

---

(٦٠) فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٦١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٥، ص٣٦٨.

(٦٢) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٨؛ أبو الفداء: المختصر، ج٣ص١٥١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٥ص٣٠٨؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٢٧ ص٢٨٩؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٦؛ حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، (غزو جنگيزخان للعالم الإسلامى وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٩م، ص٧٧.

والمخاطبات من الأمراء والملوك المحليين والمجاورين له بهذه اللغات، فكان جلال الدين في حاجة إلى من يقوم على أمر الترجمة والرد على تلك المكاتبات بشكل مناسب، فاختار النسوي لهذه المهمة مستغلا فرصة سفارته من نسا إلى أذربيجان.

وحول إجادة النسوي للغة العربية وإتقانه لها وضلوعه فيها؛ فقد شكك الأستاذ حافظ حمدي(٦٣) محقق كتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي في ذلك، يقول في مقدمة تحقيقه لذلك الكتاب: "والأمر الذي لا شك فيه أن أسلوب النسوي في الكتاب متواضع حقا، تغلب عليه الصنعة، ويغلب عليه التصنع أيضا، فقد استبدت بالنسوي طريقة الإكثار من المحسنات البديعية والصور البيانية، وصار يهتم برصف الألفاظ جريا وراء سجع متكلف متعمد وبطريقة طمست معها معالم الحقائق التاريخية في كثير من الأحيان، وكان النسوي يجيد اللغتين الفارسية والتركية، أما اللغة العربية فكانت قدراته فيها تلي قدراته في هاتين اللغتين"، ويتابع حافظ حمدي فيذكر أن النسوي إنما كان يفعل ذلك باحثا عن المحسنات البديعية والصور البيانية والأمثال والاستشهاد بآيات القرآن وإقحامها "إقحاما" في كتاباته ليسد بذلك ما يحس به من نقص في معرفته لأصول اللغة العربية(٦٤).

أما المستشرق هوداس *O.Houdas* الذي نقل كتاب سيرة السلطان إلى اللغة الفرنسية وعلق عليه فيذكر أن النسوي كان "بارعا في استعماله العربية وبإجادة الإنشاء فيها، ولكن مما لا شك فيه أن قارئه يحس بشيء من الأثر الفارسي قد تخلف في أسلوبه وتعبيره"(٦٥).

(٦٣) سيرة السلطان جلال الدين، مقدمة المحقق، ص٢٥.

(٦٤) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، مقدمة المحقق، ص٢٥.

(٦٥) إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، (ج٢ من الفردوسى إلى السعدي) تعريب د. إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (ط١)، ٢٠٠٤م، ص٦٠٢.

وقد شغلت قضية إتقان النسوي للغة العربية ومهارته فيها بال الباحثين والمهتمين بتراث هذا الرجل ومؤلفاته، فالمؤرخ الإيراني عباس إقبال(٦٦) يثني على النسوي ويقول إنه كان من الكتاب الفصحاء ثنائي اللغة، إذ كان يتحدث العربية والفارسية، ويتابع الدكتور فؤاد الصياد(٦٧) فيذكر أن النسوي كان كاتبا قديرا باللغتين معا.

ويمكن القول بأن النسوي لم يكن ضعيفا في اللغة العربية كما أشار حافظ حمدي؛ كما أنه لم يكن بارعا رائعا فيها كما ذكر المستشرق هوداس *O.Houdas*، فإنه بلا شك استخدم لغة وأسلوبا من أساليب الكتابة التي سادت في ذلك العصر، ولو أن حافظ حمدي قد اطلع على رسالة نفثة المصدور للنسوي لأدرك أن استخدامه للمحسنات البديعية والاستشهاد بالقرآن الكريم وتضمينه في كتاباته مع الاستشهاد بالشعر العربي والفارسي والأمثال العربية لم يكن ضعفا منه في معرفة أصول اللغة العربية، ولم يكن يفعل ذلك ليسد نقصا يشعر به كما يقول، بل إن ذلك كان سمة من سمات أسلوب النسوي في الكتابة عامة، جريا مع أسلوب الكتابة السائد في ذلك العصر بشكل عام.

ومما يؤكد على ضلوع النسوي في اللغتين العربية والفارسية أنه كتب مؤلفاته بهاتين اللغتين، حيث كتب رسالة نفثة المصدور باللغة الفارسية، بينما كتب مؤلفه الأشهر عن سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي باللغة العربية ودون فيه ما شاهده وما سمعه من وقائع عصر جلال الدين لأنه رأي أن المؤرخ ابن الأثير رغم ما يحويه كتابه من معلومات قيمة حول تاريخ الدولة الخوارزمية؛ فإنه لم تتح له الفرصة لأن يفصل الحوادث الأخيرة التي جرت

(٦٦) تاريخ المغول، ص٤٧٥.

(٦٧) مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥.

للسلطان جلال الدين، فأرد النسوي بذلك أن يكمل تلك الاطلاعات وأن يرد الخرافات التي تناقلها الناس عن مخدومه(٦٨).

كما كان النسوي باعتباره كاتبا خاصا بالسلطان جلال الدين في ديوان الإنشاء يسعى لإثبات مهارته في اللغة العربية والحرفة التي غدا يقاتل من أجل الحفاظ عليها كما أشار هو بنفسه(٦٩) فأراد النسوي أن يبين لمنافسيه أنه يجيد لغة ثالثة هي العربية، ومن جانب آخر فإن كتاب سيرة السلطان جلال الدين قد ظهر بعد عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م، أي بعد وفاة السلطان جلال الدين نفسه بما يزيد عن عشر سنوات حيث كان النسوي قد انتقل ليقيم في ميافارقين(٧٠) ببلاد الجزيرة(٧١) في كنف الملك المظفر شهاب الدين غازي(٧٢) أي في المنطقة العربية، ولعله أراد أن يصدر كتابه ذلك لجمهور يتحدث بهذه اللغة فأراد أن يرضي نزعتهم ومعرفتهم، فكتب بلغتهم وأسلوب عصرهم، ولعل هذه الظروف الصعبة التي عاشها النسوي بعد مقتل مخدومه جلال

(٦٨) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٤٧٥-٤٧٦؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥.

(٦٩) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٩٤-١٩٥.

(٧٠) **مَيّافارِقين**: أشهر مدينة بديار بكر، فتحها خالد بن الوليد والأشتر النخعى في خلافة عمر بن الخطاب. ياقوت: معجم البلدان، ج٥ص٢٣٥-٢٣٨؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٦٥.

(٧١) **بلاد الجزيرة**: إقليم واسع يقع في أعالي نهري دجلة والفرات، وينقسم إلى ديار بكر وديار مضر وديار ربيعة، وسميت الجزيرة لأنها تقع بين نهري دجلة والفرات. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ص١٨٣؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١١٤-١١٥.

(٧٢) **شهاب الدين غازي**: الملك المظفر شهاب الدين غازي بن أبي بكر العادل بن أيوب صاحب ميافارقين وخلاط والرها وإربل، من ملوك الأسرة الأيوبية المعروفين، كان فارسا مهيبا جوادا، كنيته شهاب الدين، التقى به المؤرخ سبط ابن الجوزي في مدينة الرها سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م وأثنى عليه فقال: "حضر مجلسى بجامع الرها، وكان لطيفا ينشد الأشعار ويحكى الحكايات". كانت وفاته سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨ص٧٦٨-٧٧٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٥ ص١١١-١١٢.

الدين عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م قد أجلت ظهور كتابه السيرة إلى وقت لاحق، لكن هذا التأجيل بلا شك قد أبرأ ساحة النسوي من تهمة المجاملة أو المداهنة لسلطانه جلال الدين(٧٣).

لقد كان النسوي رجلا مثقفا حقا حريصا على القراءة والمطالعة لشتى فنون الكتب بلغات عدة، إن رجلا مثل النسوي حرص على بناء مكتبة خاصة به في قلعته زيدر بنسا جمع فيها نفائس الكتب حتى نكبها المغول فتحسر على ما بها من كتب ومؤلفات(٧٤) ليؤكد على مدى ما كان عليه الرجل من ثقافة واسعة، ثم إنه يحدثنا عن بنائه خانقاه خاصة به في قلعة زيدر بنسا أيضا وأنه كان يعهد إليها بالمال والأغنام وقفا عليها حتى بعد مفارقته نسا والتحاقه بخدمة جلال الدين(٧٥)، ولعل ذلك يعكس لنا اهتمامه بالتصوف وعلومه.

ويتضح من كتابات النسوي سعة علمه وثقافته الإسلامية وقراءته لكبار العلماء والمؤرخين حيث أشار كثيرا إلى قراءته لكتاب الكامل في التاريخ لمؤلفه عز الدين بن الأثير (ت:٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ونقله عنه ونقده لبعض أخباره أو مدح مؤلفه(٧٦)، وقد استشهد النسوي في كتاباته بكثير من الأشعار العربية والفارسية لشعراء كبار بما يعكس مدى معرفته للأدب العربي والفارسي ودواوين الشعر في اللغتين(٧٧)، كما كان هو نفسه يكتب كثيرا من أبيات الشعر باللغتين في كتابيه ما يعكس لنا تمكنه من أدوات اللغتين العربية والفارسية، ومن ذلك تلك القصيدة التي كتبها في مدح السلطان جلال الدين

(٧٣) براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢ص٦٠١؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥.

(٧٤) النسوي: سيرة السلطان، مقدمة المحقق، ص١١٠-١١١؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٢٣.

(٧٥) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٤٣؛ نفثة المصدور، ص١١٣.

(٧٦) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٦-٣٧، ص٤٨، ص٢٤٠.

(٧٧) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٣٠، ص١٤٢، ص٢٠٩، ص٣٥٣، ص٣٨٥، وراجع نفثة المصدور، ص١٠٧، ص١١١، ص١٣٠... وصفحات أخرى.

عند فتحه مدينة خلاط[٧٨] سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م[٧٩]، كما يذكر أنه قرأ كتب المسالك والممالك والبلدان، وأنه أفاد منها في تقدير المسافات بين المدن في خراسان وغيرها[٨٠].

لقد كان النسوي بحق كاتبا قديرا بلغات عدة، عمل في وقت سادت فيه الفتن والاضطرابات بعد اجتياح المغول لبلاد المسلمين، وكانت مؤهلاته كافية له حتى يتولى مهمة الكتابة للسلطان جلال الدين ويحظى عنده بالمكانة الخاصة، وقد ذاعت شهرة النسوي بين المدن والممالك الإسلامية في عصره كرئيس لديوان الإنشاء الخوارزمي، ووصلت شهرته إلى ديوان الخلافة العباسية في بغداد حيث كان النسوي يتأدب في مخاطبتهم باسم السلطان جلال الدين، وفي إحدى تلك المخاطبات التي وردت إلى السلطان جلال الدين من ديوان الخلافة العباسية ورد ذكر السلطان بلقب "الجناب العالي الشاهنشاي" ثم ذكر بعده الوزير شرف الملك خواجه جهان بلقب "الأجل شرف الملك"، ثم ذكر النسوي بعدهما ولم يذكر أحد غيره بعد ذلك في تلك المكاتبة، فلما قرئت الرسالة على السلطان جلال الدين قال الوزير شرف الملك للسلطان: "ما سبب تقدم النسوي صاحب الإنشاء على صاحب الديوان"؟، فقال السلطان: السبب في ذلك بين، وهو أنه يحسن التأدب معهم في المخاطبة، ويحفظ ما يتعلق بناموسهم في المكاتبة، ثم إن رسلهم شاهدوه عندنا بالحضور للمشورة"[٨١].

---

(٧٨) **خلاط**: أو أخلاط، قصبة أرمينية الكبرى، تقع حاليا في محافظة بدليس بتركيا على الساحل الشمالي الغربي لبحيرة فان، وهي بلد مشهورة ذات خيرات واسعة وثمار كثيرة، وبردها في الشتاء يضرب بشدته المثل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢ص٣٨٠-٣٨١؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٢٤.

(٧٩) النسوي: نفثة المصدور ص١٢٥.

(٨٠) النسوي: سيرة السلطان، ص١٣٤.

(٨١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٠٩.

لقد كان النسوي يجيد الحديث والكتابة لهذه اللغات الثلاث، كما كان على علم ومعرفة ببعض من اللغات الأخرى التي سادت في مناطق أذربيجان وما حولها حيث كان يرافق السلطان جلال الدين منكبرتي، ومن ذلك معرفته للغة الأرمينية حيث أشار النسوي في أكثر من موضع إلى وصول الرسل إلى بلاط السلطان جلال الدين يحملون رسائل بلغات مختلفة، وأنه كان يقوم بدور "الترجمان بينهما"(٨٢).

علاقة النسوي بالسلطان جلال الدين ووزيره شرف الملك:

- أولا علاقته بالسلطان جلال الدين:

منذ أن التحق النسوي بخدمة السلطان جلال الدين منكبرتي في أذربيجان عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م أصبح من أقرب الناس إلى السلطان، وتطورت العلاقة بينهما لمرتبة "الصداقة"، فلقد ظل النسوي مرافقا للسلطان في حله وترحاله، وفي حروبه وأسفاره، ولم يكن جلال الدين يتركه يبتعد عنه إلا لمهمات يكلفه بها ولا يثق في أحد غيره للقيام بها، بحيث أصبح النسوي صديقا مقربا من جلال الدين، وشاهدا على الوقائع والأحداث التي تعرض لها هذا السلطان والدولة الخوارزمية في عهده(٨٣).

كان النسوي مقدما عند السلطان جلال الدين أثيرا عنده(٨٤)، وقد أفاض في رسالته نفثة المصدور في مدح هذا السلطان ووصفه وبيان شجاعته ومدى حبه له وتعلقه به، فجلال الدين عنده بمثابة "سور الملة وحصنها

---

(٨٢) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٢٠، ص٣١٣-٣١٤.

(٨٣) محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص٨٧، ص١٧١ح

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(٨٤) أبو الفداء: المختصر، ج٣ص١٥١؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربي، ج٢ص٤٠٧.

وفارس ميدان السلطنة، باني أساس الملك، ومضحك ثغور المسلمين الذي من زئيره وصيحته كانت الدماء تتجمد في قلوب الكفار الملاعين"(٨٥)، وهو "السيد الصدر المعظم سعد الدولة والدين نخبة الملوك والسلاطين، أكابر عصره قدوة صدور الشرق آدام الله علوه وزاد إلى مراقي الغر نموه...، الصادق العهد الذي لا يشق له غبار في الوفاء بالعهد والوعد"(٨٦)، وقد عاتب النسوي سلطانه جلال الدين في عدم السؤال والبحث عنه بعد أن فرق المغول بينهما، ورغم ذلك فقد التمس له العذر حيث يقول أن: "التراخي والتأجيل الذي بدر منه في تفقد أحمالك لا تحمله على عدم المبالاة فأسبابه كثيرة والتأخير والإمهال الذي أبداه في تقصي أحوالك ليس تقصيرا وإهمالا؛ بل بسبب أحمال كثيرة...، لعل له عذر وأنت تلوم"(٨٧).

وقد أورد النسوي في نفثة المصدور الكثير من الأشعار العربية والفارسية في مدح جلال الدين(٨٨)، وكان النسوي وقت كتابة هذه الرسالة لم يكن قد علم بمقتل جلال الدين، فنراه يعبر عن فرحته وسعادته بأنه ما زال "يحيا في أحضان الإقبال وكنف السعادة"(٨٩).

وهكذا وصلت علاقة النسوي بالسلطان جلال الدين لدرجة من القوة بحيث لم يعد معها النسوي مجرد كاتب للإنشاء يعمل لدى جلال

---

(٨٥) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤٩-١٥٠.

(٨٦) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٢.

(٨٧) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٢.

(٨٨) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤٩-١٥٠، حيث أورد النسوي قصيدة للشاعر العربي أبي تمام في المدح والرثاء سجلها النسوي في نفثة المصدور بعد حادثة فراقه لسيده مباشرة، ويبدو منها اعتقاد النسوي أن المغول قتلوا جلال الدين آنذاك، ولم يكن قد حدث ذلك، وجدير بالذكر أن النسوي قد أورد نفس أبيات هذه القصيدة في كتابه: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٨٥.

(٨٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٢.

الدين؛ بل وصلت مكانته لدى السلطان لدرجة كان جلال الدين يستشيره في كل صغيرة وكبيرة تخص شئونه الخاصة والعامة، فكان النسوي أقرب ما يكون وزيرا للسلطان يأخذ برأيه ويستعين به في القيام بالمهام الصعبة، ولعل ذلك كان سببا من أسباب العداء المعلوم بين النسوي وبين الوزير شرف الملك خواجه جهان وزير جلال الدين.

- ثانيا: علاقته بالوزير شرف الملك:

كان شمس الملك شهاب الدين ألب الهروي وزيرا للسلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، ثم وُزِّر لولده جلال الدين منكبرتي من بعده، فلما وقعت أحداث موقعة نهر السند وهرب جلال الدين إلى الهند، كان هذا الوزير ممن نجا من القتل ولحق بالهند هو الآخر واستنجد بالسلطان ناصر الدين قباجه(٩٠) حاكم الملتان(٩١)، وبعد فترة قليلة قتله قباجه حتى لا يفشي

(٩٠) **ناصر الدين قباجه**: الملك العادل السلطان قباجه المعزي، كان من مماليك السلطان الغوري معز الدين محمد بن سام، وكان معز الدين قد ولاه ولاية السند فتملكها بعد وفاة سيده عام ٦٠٢هـ/١٢٠٥م وفتح لاهور وأعلن نفسه سلطانا بها، قاتل السلطان جلال الدين خوارزم شاه سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م، كما قاتل الأتراك الخلج سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م وهزمهم، وتزوج بابنتي قطب الدين أيبك سلطان دلهي واحدة بعد أخرى، كما تزوج بابنة تاج الدين الدّز ملك غزنة، وكان من الملوك الأجياد المحبين للعلم والعلماء، وما زال حسن السيرة في رعيته حتى قضى شمس الدين ألتمش على ملكه سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، وغرق ناصر الدين قباجه في نهر السند في جمادى الآخرة سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م. عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر المعروف بعنوان: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، (ط١)، ١٩٩٩م.ج١ص١٢٨-١٢٩.

(٩١) **الملتان**: وتكتب مولتان: مدينة كبيرة تقع حاليا في باكستان بمنطقة البنجاب، وكانت قديما إحدى المدن الهندية المعروفة بوجود صنم كبير لبوذا كان الهنود يحجون إليه من جميع أرجاء الهند، افتتحها محمد بن القاسم الثقفي في العصر الأموي. راجع ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥ص٢٢٧-٢٢٨؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٤٦-٥٤٧؛ لسترنج: بلدان الخلاف الشرقية، ص٣٦٩.

أسرارا لجلال الدين كان قد تحدث معه فيها بعد علمه بنجاة جلال الدين بعد عبوره نهر السند، ولم يكن محمد بن أحمد النسوي قد عاصر هذا الوزير لأنه التحق بخدمة جلال الدين بعد مقتل شمس الملك بفترة من الزمن، ورغم ذلك نجد النسوي يمتدح هذا الوزير ويثني عليه ويبدي إعجابه به حيث كان وزيرا "جامعا لأدوات الرئاسة"(٩٢).

أما الوزير الخوارزمي الذي عاصره النسوي وقت خدمته لجلال الدين فهو الوزير فخر الدين علي بن أبي القاسم الجندي والذي عرف بلقب شرف الملك خواجه جهان، كان قد ترقى من منصب الاستيفاء إلى منصب الوزارة في مدينة جند، ثم أصبح حاجبا للسلطان جلال الدين منكبرتي بعد عودته من الهند واستقراره في أذربيجان، ثم اختاره جلال الدين ليكون وزيرا له(٩٣)، ورغم ذلك لم يحظ شرف الملك لدى جلال الدين بمنزلة الوزراء، فلم نر جلال الدين يخاطبه إلا بشرف الملك، وكان من عادة السلاطين الخوارزميين مخاطبة وزرائهم بلقب "خواجه"(٩٤).

ولم يكن جلال الدين موفقا في اختياره لهذا الرجل حتى يكون وزيرا له؛ فلقد استغل شرف الملك نكبة السلطان جلال الدين أمام المغول في سهل

---

(٩٢) النسوي: سيرة السلطان، ص١٦٣-١٦٤؛ وراجع مقدمة الترجمة العربية لرسالة نفثة المصدور، ص٣١-٣٢؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٥٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ ص٢٦٠-٢٦١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ ص١٤١؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص٩٥.

(٩٣) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٨٣-١٨٦؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٦٥-١٦٧؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٣١١-٣١٢؛ وراجع مقدمة الترجمة العربية لرسالة نفثة المصدور، ص٣١-٣٢؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٤.

(٩٤) النسوي: نفثة المصدور، مقدمة الترجمة العربية، ص٣٣؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص١٦٧.

موقان[٩٥] عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م وظن أن السلطان جلال الدين انقضى أمره وأنه لن تقوم له قائمة، وأنه سيعود إلى بلاد الهند، فطمع شرف الملك في خزائن السلطان ونسائه، كما قام بمصادرة ممتلكات أكثر رجال الدولة[٩٦] وأعلن التمرد والعصيان والاستقلال بحكم بيلقان[٩٧] وأران[٩٨] وبعض المدن الأخرى قرب أذربيجان، كما كاتب سلاجقة الروم والسلطان الأشرف موسى الأيوبي[٩٩] يتعاون معهم ضد جلال الدين، فزادت هذه الأمور من

---

(٩٥) **موقان** وأهلها يسمونها **موغان**: سهل عظيم غرب بحر قزوين على يمين القاصد من أردبيل إلى تبريز، يمتد من جبال طالش جنوبًا حتى شواطئ نهر أَرَّس شمالًا، وليس بينه وبين أذربيجان موانع طبيعية؛ لذا عُدَّ أحيانًا ضمن إقليم أذربيجان، ولكنه في الغالب كان يعتبر إقليما بنفسه، ويضم سهل موغان الكثير من القرى التي احتلها التركمان للرعي، ولذلك فأغلب سكانه منهم، وكان المغول قد سيطروا على موغان واتخذوا منه مشتى لهم ورحل عنها التركمان في زمن الجغرافي القزويني. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥ص٢٢٥؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥٦٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤ص٣٦٢-٣٦٣؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٠٩-٢١٠.

(٩٦) رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٥؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٥٧؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٣٥-١٤٠.

(٩٧) **بيلقان**: مدينة من مدن إقليم أران من أذربيجان الحالية، تقع قريبا من شروان والدربند "باب الأبواب"، فتحها المسلمون في زمن عثمان بن عفان صلحا، وقد دخلها المغول وأحرقوها في سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، فلما تراجعوا عنها عاد إليها بعض أهلها فعمروها. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١ص٥٣٣؛ القزويني: آثار البلاد، ص٥١٣.

(٩٨) **أرّان**: بلاد واسعة في أذربيجان ويعدها بعض الجغرافيين إقليما مستقلا، تقع شمالي أذربيجان على الجهة اليسرى من نهر الرَّس الذي يفصل بين أران وأذربيجان، وعاصمتها برذعة في جهتها الشمالية، ومن مدنها المعروفة كنجة، وشمكور، وبيلقان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ص١٣٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤ص٣٦٠-٣٦١.

(٩٩) **الأشرف موسى الأيوبي:** الملك الأشرف بن العادل الأيوبي (٦٠٧-٦٣٥هـ/١٢١٠-١٢٣٧م) صاحب خلاط وديار بكر ودمشق وحلب وغيرها، كان ملكًا كريمًا حليمًا، شجاعًا حازمًا، موفقًا في حروبه وسياسته. أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص١٦٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٢ص١٢٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣٢٧-٣٢٨.

اتساع الفجوة والخصومة بين جلال الدين وجيرانه من الأيوبيين والسلاجقة في وقت كان في أمس الحاجة لدعمهم ومساندتهم في حربه ضد المغول، فلما أيقن جلال الدين أن وزيره غدا شوكة في ظهره استدعاه للمثول بين يديه في تبريز(١٠٠)، فجاءه شرف الملك حاملا كفنه مبديا الندم والاعتذار، فاكتفى جلال الدين بعزله عن منصب الوزارة وحبسه، ثم قتله بعد ذلك بأيام قليلة في عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م(١٠١).

وقد أفاض النسوي في الحديث عن الصفات السيئة للوزير شرف الملك وعدم كفايته للوزارة وسوء طباعه، كما عرض لكثير من مظاهر سوء العلاقة بينه وبين هذا الوزير الذي كان يتحين الفرص ويدبر المؤامرات للتخلص من النسوي، ويمكننا حصر أسباب العداوة بينهما في أمرين هما:

---

(١٠٠) **تبريز**: مدينة عظيمة بأذربيجان، غدت عاصمة الإقليم وقت حكم جلال الدين لهذه البلاد، وتقع في شرق بحيرة أرمية على مسافة ثلاثين ميلا منها، وكانت تبريز قد نجت من الدمار على يد المغول خلال غزوهم الأول لهذه المناطق، وذلك بالصلح معهم فرحلوا عنها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢ص١٣، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٩٦. وجدير بالذكر أن هولاكو حفيد جنگيزخان لما أسس دولة إيلخانات المغول في فارس اتخذ من تبريز حاضرة لهذه الدولة وظلت كذلك فترة من الزمن. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤ص٣٥٧.

(١٠١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص١٨٣-١٨٤، ص٣٦٤-٣٦٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج١٠ص٤٩١؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢٣-٢٢٨؛ رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٥، وهو يذكر أن جلال الدين سجن وزيره وأن الوزير مات في سجنه، راجع أيضا: النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٢-٢٩٣. أما المؤرخ الإيراني خواندمير فيذكر أن جلال الدين قتل وزيره شرف الملك بعدها بثلاثة أو أربعة أيام، راجع كتابه دستور الوزراء، تعريب وتعليق د. حربي أمين سليمان، مراجعة وتقديم د. فؤاد الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٣١١-٣١٢، أيضا ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٣-١٦٤؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٥٨-١٦٠؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١١٢-١١٣.

- علاقة الود والصداقة القوية التي جمعت النسوي بالسلطان جلال الدين منكبرتي والتي جعلته يحظى لدى السلطان بمكانة خاصة لم يصل إليها الوزير نفسه ولا صاحب الديون ولا أي أحد آخر من رجال الإدارة والحاشية.
- ما كان يتمتع به النسوي من ثقافة واسعة ومعرفة لعدة لغات جعلته يتفرد برئاسة ديوان الإنشاء ويتكسب من مهنة الكتابة مالا وفيرا استكثره الوزير على النسوي فازداد حقده عليه.

وفي رسالته نفثة المصدور أفاض النسوي في الحديث عن شخصية هذا الوزير وطباعة الذميمة ومظاهر حقده على النسوي وسوء العلاقة بينهما، وقد دفع هذا العداء النسوي إلى التفكير في الاعتذار عن مهمة كاتب الإنشاء بعد عودته من سفارته إلى الشيعة الإسماعيلية في ألموت(١٠٢) أواخر عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، يقول النسوي(١٠٣): "قررت أن أعفي نفسي من الخدمة، تلك الخدمة التي تسوء عاقبتها في كل لحظة، والتي من المؤكد أنها سوف تنتهي في النهاية إلى الحسرة والندم، فقد ظهرت موجبات السآمة من كل جانب، وحلت مقتضيات الملامة بالعام والخاص من كل حدب وصوب، وتمثل أولها في هادم اللذات ومخيب الآمال، وهو خروج عسكر التتار أطبق الله عليهم البوار، فمع وجودهم يصبح تمني الراحة لا عقل فيه لمن له عقل...، وتمثل ثانيها في العداوة العجيبة التي يكنها لي الوزير رحمه الله على

---

(١٠٢) **ألموت**: قلعة حصينة منيعة بالقرب من مدينة قزوين بإيران، استولى عليها الحسن الصباح الملقب بشيخ الجبل وزعيم الشيعة الإسماعيلية فظلت ألموت حصنا منيعا لهم ما يزيد عن ١٧٠ سنة حتى استولى عليها المغول وقضوا على الشيعة الإسماعيلية بها في عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م حيث أمر هولاكو بتجريدها من آلاتها الحربية. براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢ص٣٨٩.

(١٠٣) نفثة المصدور، ص١١٧.

الرغم مما ضحيت به في السابق واللاحق". وفي موضع آخر يشير النسوي إلى رغبة الوزير في التخلص منه "فهذا الوزير صار متعطشا لدمي، وهذه القربى القليلة التي نلتها في الحضرة ويا ليتني ما نلتها...؛ ظنها بخياله الفاسد أنها ستكون ضررا عليه في مستقبل الأيام، فكان في كل يوم يحاول أن ينفذ في قصده، وما أكثر ما أحطت قلبه بأنواع التلطف واستغفرت له عن ذنوب لم أرتكبها...، فكان يوما يظهر لي بأغلظ الأيمان صفاء كاملا، وفي اليوم التالي حيث تنجلي الغمة...، يتحين الفرصة للقضاء عليّ، فقد شد وتر قوس قصدي حتى أذنه، ونصب لكسر شوكتي حبائل مكره وكيده بألف نوع من الفخاخ والشراك...، لكن حمتني يقظتي ووعيي وتحفظي وفطنتي أنا العبد الحقير"(١٠٤).

كما كان الوزير حاسدا للنسوي على كثرة دخله والأموال التي يجنيها من وظيفة الكتابة والعمل بديوان الإنشاء، وقد استغل شرف الملك فترة غياب السلطان جلال الدين في العراق في إحدى سفراته وأصدر منشورا يقضي باقتسام دخل صنعة الكتابة مع النسوي فيكون للوزير الثلثين وللنسوي الثلث(١٠٥)، فلما عاد جلال الدين اشتكى النسوي إليه الوزير وما صنعه، فأعاد السطلان جلال الدين الوضع إلى سابق عهده، وبعدها قرر النسوي العدول تماما عن فكرة الاعتذار عن الخدمة، يقول "ورغم أنني كنت قد عزمت على اتخاذ قراري بالاعتزال عن الخدمة ولويت عنان قلبي الملول عن صوب المنصب؛ لكنني لما رأيت الحال على هذا المنوال غلت دماء الحمية في عرق طبيعتي، فنسيت هذه الفكرة بعد مشاهدة الحال...، ورأيت أنه من خصائص مذهب الرجولة والشهامة أنه يجب أن أقف في وجهه، وأرجعه عن

(١٠٤) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٨-١١٩.

(١٠٥) المصدر السابق، ص١١٩-١٢٠.

قصده..." لأن الوزير "منذ ذلك اليوم الذي تقرر لي فيه شغل ذلك المنصب لم ينقطع أبدا ولم يهدأ له بال ومنذ ذلك الوقت الذي عدت فيه للعمل وتراجعت عن الاعتزال وتلك المعاناة على حالها لم يستقر له قرار"(١٠٦).

وعلى الرغم من هذا العداء والحقد الذي يكنه الوزير شرف الملك للنسوي، وذلك الوصف السيء الذي أفاض فيه النسوي للوزير؛ فإننا نرى النسوي في كتابه سيرة السلطان جلال الدين يثني على هذا الوزير ويذكر لنا كثيرا من مواقفه الإيجابية التي كان له دور واضح فيها في دولة جلال الدين، وأنه كان شديد الميل إلى الأتراك ضليعا في اللغة التركية محبا للعلماء والزهاد ليس للمال عنده محل، كما ذكر أنه كان رقيق القلب غير متكبر يبكي بكاء شديدا إذا وعظ وقرأ القرآن(١٠٧).

- **عمل النسوي رسولا وسفيرا:**

لم يكن المؤرخ محمد بن أحمد النسوي مجرد كاتب للسلطان جلال الدين منكبرتي، فلقد اتضح كما رأينا سابقا عمق العلاقة التي جمعت بينه وبين السلطان جلال الدين لدرجة جعلت رجال البلاط الآخرين يحقدون على النسوي ويكيدون له، ومما يجدر ذكره في هذا الإطار أن السلطان جلال الدين لم يكن يأتمن أحدا للقيام ببعض المهام السلطانية غير النسوي الذي اعتبره صديقه المقرب ورفيقه الخاص، وقد جعلت هذه العلاقة جلال الدين يكلف صديقه النسوي دون غيره من رجال البلاط بمرافقة الرسل والسفراء المبعوثين إليه من قبل الخلافة العباسية والملوك الآخرين، وكان النسوي يقوم

(١٠٦) المصدر السابق، ص١٢١-١٢٢.

(١٠٧) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٦٧-٣٦٨؛ وراجع خواندمير: دستور الوزراء، ص٣١٢؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٦٠.

بدور المترجم بينهم وبين السلطان، ومن ذلك إشارة النسوي نفسه في عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م إلى وصول رسول الخليفة العباسي إلى السلطان بعد أن عاد من كنجة واستحضره السلطان، فكان النسوي يقوم بدور الترجمان بينهما(١٠٨).

ويذكر النسوي(١٠٩) أن السلطان جلال الدين كلفه للقيام ببعض المهام السلطانية في أصفهان(١١٠) والعراق العجمي أواخر عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، كما كان جلال الدين يرسله رقيبا على بعض العمال التابعين وولاة الأقاليم، يقول النسوي(١١١): "ثم إن السلطان ركب لغزوة أخرى في الكرج، وعند وصوله إلى نهر أرس(١١٢) مرضتُ مرضا شديدا تعذرت معه الحركة، وأذن لصاحبي سرماري إذ ذاك بالعودة إلى بلدهما، وسيرني معهما وبرز الأمر السلطاني إليهما ألا يفاحا كتابا يرد عليهما من ملوك الشام والكرج والروم إلا بحضوري ما دمت فيهم، وألا يحضر رسول من رسل هذه الجهات إلا وأنا حاضر وإلى ما يرد ويصدر ناظر، فأقمت بها سبعة أشهر لتعذر الوصول إلى المراكز السلطانية".

---

(١٠٨) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٢٠.

(١٠٩) سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٣٦-٣٣٨.

(١١٠) **أصفهان**: وتسمى أيضا أصبهان: اسم مركب من أصب بمعنى بلد، وهان بمعنى فارس، فهى بلاد الفرسان، وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن، وأصبهان: اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينتها أولا جيّا ثم صارت اليهودية، وهى من نواحى الجبل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ص٢٠٦-٢١٠. وتقع أصفهان حاليا وسط الهضبة الإيرانية على بعد ٧٠٠ كم من العاصمة طهران.

(١١١) سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٠٩.

(١١٢) نهر أرّس أو نهر أرّاس *Araxes*: أحد أكبر الأنهار في بلاد القوقاز، يربط بين عدة دول هى تركيا وأذربيجان وإيران، يزيد طوله عن ألف كم، ويصب في بحر قزوين بعد أن يلتقى بنهر الكور، وقد ذكر القلقشندي هذين النهرين باسم الرس والكُر، صبح الأعشى، ج٤ص٤٠٢.

ومن المهام الكبرى التي كان النسوي يؤديها للسلطان جلال الدين عمله رسولا وسفيرا في كثير من مراسلات السلطان وسفاراته إلى الحكام المسلمين(١١٣)، ومن ذلك إرساله إلى الشيعة الإسماعيلية في قلاع ألموت(١١٤)، وقد ذكر لنا النسوي بنفسه أن هذه السفارة كانت في شهر رمضان سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م(١١٥)، كما عرض تفاصيلها ومهامه التي كلفه بها السلطان خلالها، كما أشار إلى أن عددا من أصدقائه بلغ عددهم عشرين كانوا يرافقونه في رحلة عودته من ألموت، وأنهم قد تعرضوا في الطريق لهجوم من بعض اللصوص طمعا فيما معهم من متاع ومال، وقد أبدى النسوي محبته لرفاقه ودعمه لهم فترك لهم حرية التصرف في ماله ومتاعه الخاص حتى تمكنوا من العودة سالمين(١١٦).

ومن المهام الأخرى التي كُلِّف بها النسوي إيداع أسير مغولي في سجن قلعة "سركبود"(١١٧) قرب موغان في أذربيجان في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م(١١٨)،

---

(١١٣) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٤؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول، ص٢٢٥.

(١١٤) النسوي: المصدر السابق، ص٣٣٦-٣٣٨، ص٣٣٩-٣٤٤؛ نفثة المصدور، ص٣٣، ص١١٣.

(١١٥) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٣٧، ص٣٣٩-٣٤١؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢١٩؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٥٦-١٥٧؛ كذلك:
P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(١١٦) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٦.

(١١٧) **قلعة سركبود**: وتسمى أيضا شيركبوت، إحدى القلاع الحصينة الموجودة على تل عال يحميها بسهل موغان من أذربيجان، وكان لا يعبر إليها إلا بجسر حيث يحيط بها خندق يحميها من الأعداء، كانت قد خربها المغول سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠، ثم عمرها الوزير شرف الملك وزير جلال الدين منكبرتى حيث أقام بها فترة من الزمن على شاطئ نهر أرس. النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٥٣؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢٠-٢٢١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ ص٢٩٠؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٥٨؛ صبرى سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١١٠.

(١١٨) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٥٣، نفثة المصدور، ص٤١، ص١٢٦؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢١؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٥٩.

وكان يرافق النسوي في هذه المهمة بعض الجند، فلما هاجم المغول معسكر جلال الدين عند موغان ليلا ووقعت الفرقة في الجند واختلط الأمر؛ تفرق النسوي عن مرافقيه ومعه الجندي المغولي، وقرر العودة إلى معسكر السلطان، فوجد الحرب قائمة وأن الجند قد تفرق جمعهم ولم يثبت أحد في موضعه، فهرب النسوي نجاة بنفسه إلى بيلقان ومنها إلى كنجه حيث أقام بها ثلاثة أشهر(١١٩).

وقد كان السلطان جلال الدين بعد مواجهة المغول عند موغان وقلعة سركبود؛ قد هرب إلى قلعة ماهان(١٢٠) قرب أُرْمِيَةُ(١٢١) وقضى بها فصل

(١١٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٢٦-١٢٨، سيرة السلطان، ص٣٥٦، ص٣٦٠؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢١؛ كذلك:

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(١٢٠) **ماهان**: بلدة تقع على مقربة من مدينة وبحيرة أرمية غربي البحيرة بأذربيجان، وليست هي ماهان الواقعة جنوبي شرق كرمان كما ذكر الأستاذ حافظ حمدي محقق سيرة السلطان جلال الدين للنسوي، (سيرة السلطان، ص٣٥٦). عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، "من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٩٢٥م) ترجمة الدكتور محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر، القاهرة ١٩٨٩م، ص٤٠٤؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٥٩؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١١٠.

(١٢١) **أُرْمِيَةُ**: كما ضبطها ياقوت، اسم مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان بقربها بحيرة تعرف ببحيرة أرمية، وبين المدينة والبحيرة نحو ثلاثة أميال، والنسبة إليها أرمويّ وأرميّ، زارها ياقوت الحموي ورآها بنفسه سنة ٦١٧هـ/١٢١٩م وقال أنها مدينة حسنة كثيرة الخيرات، واسعة الفواكه والبساتين، صحيحة الهواء كثيرة الماء إلا أنها مهملة من جانب سلطان المنطقة السلطان أزبك بن البهلوان نظرا لضعفه كما يقول ياقوت، وبين أرمية وتبريز ثلاثة أيام، وبينها وبين إربل سبعة أيام، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، وأما بحيرة أرمية فرائحتها كريهة لا نبات عليها ولا سمك فيها، وفي وسط البحيرة جزيرة، وعلى تلك الجزيرة قلعة حصينة، وحواليها قرى ورساتيق ومزارع، وفي أكثر الأوقات كان صاحب تلك القلعة عاصيا على حاكم أذربيجان، إذ لا سبيل إليها قهرا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ص١٥٩، القزويني: آثار البلاد، ص٤٩٤. وقد ذكر القلقشندي أن هذه القلعة المذكورة كانت تعرف باسم قلعة "تلا"، وأن هولاكو لما استقر بأذربيجان وضع أمواله بها لحصانتها. صبح الأعشى، ج٤ ص٣٥٩.

الشتاء، وفي جمادى الأخرة سنة ٦٢٨هـ/ أبريل ١٢٣١م أرسل إلى كاتبه النسوي يستدعيه من كنجه، فوصله النسوي بعد رحلة شاقة استغرقت أسبوعا بعد الخروج من كنجه[١٢٢] تعرض فيها النسوي لكثير من المتاعب من كنجه إلى قلعة زبطرة، ثم إلى قلعة زاريس حيث التقى بالسلطان هناك[١٢٣]، فكلفه السلطان جلال الدين بمهمة جديدة تمثلت في إرساله إلى أرّان لتجميع قوات السلطان بها وتحريض التركمان هناك على الانضمام لجيش جلال الدين في حربه ضد المغول[١٢٤].

كانت آخر مهمة كبرى يقوم بها النسوي في مراسلة الحكام المسلمين في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، حيث أرسله السلطان جلال الدين في هذا العام إلى الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل الأيوبي صاحب ميافارقين يطلب منه تجميع الجند والانضمام لجلال الدين في حربه ضد المغول[١٢٥]، وقد تعرض النسوي في طريقه إلى الملك شهاب الدين غازي لكثير من المتاعب والبلايا حتى بلغ ميافارقين ثم عاد بالرد إلى جلال الدين في رمضان ٦٢٨هـ/١٢٣٠م[١٢٦].

---

(١٢٢) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٢.

(١٢٣) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٦٠-٣٦١؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين، ص١١٤.

(١٢٤) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٦٢-٣٦٣؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢١-٢٢٢؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٥٩؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١١٤-١١٥.

(١٢٥) النسوي: نفثة المصدور، ص٤٧-٤٨، ص٩٣، ص١٣٥، سيرة السلطان، ص٣٧٢-٣٧٣؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣٠؛ كذلك:

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(١٢٦) محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٦٢-١٦٣؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥.

وقد تضمنت رسالة نفثة المصدور للنسوي تفاصيل كثيرة حول سفارته إلى الملك المظفر وظروف هذه الرحلة وقرار السلطان تكليفه بها، ففي هذه الرسالة عرض النسوي للوحشة بين السلطان جلال الدين وبين الأيوبيين، فذكر تردد الرسل كثيرا بين جلال الدين وبينهم من أجل إيقاع الصلح بين الجانبين، وكان السلطان جلال الدين حريصا على أن يتم هذا الصلح، فنراه يرسل الرسل و"يواصل يومه بغده لفترة طويلة في انتظار لا طائل من ورائه...، وظل مترقبا لوصول مواعيد المهام، وشيم بارقة الشام...، حتى مضى عليه في هذا الانتظار ستة أشهر، والعدو يجول ويطوي ممالك عريضة وفسيحة"(١٢٧).

ومع تزايد ضغط المغول وهجومهم واستعدادهم للقضاء على جلال الدين والدولة الخوارزمية؛ ألح جلال الدين في طلب المساندة من الأيوبيين فأخذ "يبعث برسول في أثر رسول إلى الشام على أمل الانتعاش والإمداد والعون حتى تغلب فيه اليأس الطاغي على الرجاء الواهي، وأدرك أنه يجب إرسال رسول كي يستوضح النوايا من ظاهر الأمور، وانتهى الأمر بعد تباحث طويل لأن يتم تكليفي أنا العبد الحقير بهذه الرسالة وأن أقوم أنا بهذه المهمة"(١٢٨).

وهكذا كان النسوي سفيرا لهذه المهمة الكبرى التي لم يكن جلال الدين ليأتمن أحدا عليها غير كاتبه وصديقه النسوي، ويذكر النسوي(١٢٩) كرهه لهذه المهمة فيقول: "في الحقيقة كنت مستاء من تكليفي بهذه المهمة التي لن يتحصل من ورائها سوى الخجل والندامة، وكنت أجتهد في البحث عن

(١٢٧) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٣-١٣٥.

(١٢٨) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٥. وقد تحدث النسوي عن سفارته لشهاب الدين غازي ورده شهاب الدين على جلال الدين بالرفض تفصيلا في كتابه سيرة السلطان، ص٣٧٢-٣٧٣.

(١٢٩) نفثة المصدور، ص١٣٥.

وسيلة أستطيع الاعتذار بها عن آدائها حتى صار لزاما علي في النهاية أن أعرك أذن طاعتي ولم ينفع الرفض وأصر السلطان على تكليفي بهذه المهمة"، وربما كان كره النسوي لهذه السفارة بسبب علمه وتأكده من رفض الأيوبيين مساعدة جلال الدين أو دعمه في حربه ضد المغول.

وفي وقت كتابته لرسالة نفثة المصدور (في عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) يعرب النسوي عن سعادته الغامرة بتلك السفارة التي كان كارها لها في وقتها فيقول "أنها ولله الحمد صارت موجب سعادتي وراحتي، فسابقة المعرفة هذه صارت اليوم وقد أسكنتني في ساحات الراحة بعد أن ضاقت على الأرض بما رحبت، وأتاحت هذه المهمة وتلك السفارة لسفينة وجودي المتكسرة أن ترسو على الجودي في وقت عم فيه طوفان البلاء الدنيا من أقصاها إلى أقصاها"(١٣٠).

وقد أثنى النسوي على الملك الأيوبي شهاب الدين غازي ومدحه بما يليق باستقباله وحفاوته لرسول السلطان جلال الدين(١٣١)، فلما هم النسوي بالرجوع طلب منه الملك المظفر شهاب الدين التريث بعض الوقت بسبب علمه بهجوم مغولي جديد على معسكر السلطان على حدود الأرمن(١٣٢) وتوجه الملك المظفر إلى النسوي مخاطبا: "الرأي أن تقيم عندي، فأبيت، وقلت له عند الوداع: لا بد من إحدى الحالتين: إما للسلطان وإما عليه، وأيا ما كان تعقبكم ندامة، وتورثكم ملامة، قال وكيف ذلك؟، قلت إن كانت للسلطان وقد قعدتم عن نصرته فلو بذلتم خزائن الأرض في طلب مرضاته لم ينفع، وإن كانت عليه فستذكرونه حين تبلون بمجاورة التتار، فقال الملك

(١٣٠) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٥-١٣٦.
(١٣١) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٦، ص١٣٩.
(١٣٢) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٧.

المظفر: كلام لا أشك في صحته، ولكنّي محكوم عليّ "(١٣٣).

ولما اطلع النسوي على رد الملك شهاب الدين غازي ورفضه الوقوف إلى جوار جلال الدين أو دعمه في حربه ضد المغول تألم النسوي لذلك كثيرا وأخذ "يبكي بألف عين دامية على السلطان وأركان الدولة والرفاق والأحبة وأتباع الحاشية. "(١٣٤).

وفي رمضان ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م عاد النسوي من سفارته إلى الملك شهاب الدين غازي وانضم لمعسكر جلال الدين(١٣٥)، عند مدينة خلاط فتحرك جلال الدين صوب مدينة حاني(١٣٦) الواقعة شمالي آمد(١٣٧) من بلاد الجزيرة، وهناك التقى النسوي بالسلطان جلال الدين في مخيمه بجبل جور عند مدينة حاني فسأله السلطان عن رد الملك المظفر فأخبره النسوي بالرد والرفض(١٣٨).

---

(١٣٣) أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣١. وكان الملك المظفر قد تعلل برفض مساعدة جلال الدين بأنه ليس بمقدوره اتخاذ هذا القرار بمفرده بعيدا عن إخوته وأهل البيت الأيوبي، وهذا معنى كلامه "محكوم عليّ".

(١٣٤) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٨-١٣٩.

(١٣٥) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤١؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣١؛
P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(١٣٦) **حاني**: أو آني، اسم مدينة معروفة بديار بكر، مشهورة بمعدن الحديد حيث منها يجلب إلى سائر البلاد. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢ص٢٠٨.

(١٣٧) **آمِدُ**: مدينة قديمة حصينة مبنية بالحجارة من بلاد الجزيرة على نشز من الأرض، يحيط بها نهر دجلة من جميعا جوانبها عدا جهة واحدة، وهى أعظم مدن ديار بكر وأجلّها قدرا وأشهرها ذكرا، وفى وسطها عيون وآبار، يتناول الناس ماءها باليد، وفيها بساتين ونهر يحيط بسورها، فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ، وكانت في فترة البحث تحت حكم ملوك الأسرة الأيوبية، وفتحت آمد فى سنة عشرين من الهجرة، وينسب إليها خلق من أهل العلم، منهم أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ص٥٦-٥٧؛ القزويني: آثار البلاد، ص٤٩١-٤٩٢.

(١٣٨) سيرة السلطان، ص٣٧٥-٣٧٦؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣٠-٢٣١.

نهاية النسوي ووفاته:

لا نملك معلومات مفصلة عن حياة النسوي بعد مفارقته لسيده جلال الدين، ولكننا نعلم من مؤلفاته الخاصة أنه انتقل ليعيش في رحاب الأيوبيين في ميافارقين ببلاد الجزيرة حيث رحب به واستقبله الملك الأيوبي المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل كما سبقت الإشارة(١٣٩)، كما تفيدنا مؤلفات النسوي أنه بقي في رحاب هذا الملك قرابة عشر سنوات على الأقل (٦٢٩- ٦٣٩هـ/١٢٣١-١٢٤١م)، حيث أفادت رسالة نفثة المصدور أن النسوي كتبها وهو في ميافارقين في حدود عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، بينما تضمن كتابه سيرة السلطان جلال الدين أنه أتمه باللغة العربية في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م وهو مقيم أيضا بميافارقين(١٤٠).

وعلى الرغم من أن رسالة نفثة المصدور ذاتها قد تناولت كثيرا من سيرة النسوي وحياته الخاصة ويوميات هروبه أمام المغول؛ فإنها من المؤسف لم تتضمن شيئا عن حياته بعد عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، سوى ما حرص النسوي على بيانه من عمق العلاقة بينه وبين الملك المظفر فنراه يمتدحه ويثني عليه كما سبق القول(١٤١)، ورغم اهتمام كثير من المؤرخين المسلمين بالنسوي وتركيزهم على مكانته من السلطان جلال الدين وقيامه بمهمة الكاتب الخاص له وكتابته لسيرة هذا السلطان؛ فإنهم لم يذكروا شيئا عن نهاية النسوي نفسه وما آل إليه أمره بعد وفاة جلال الدين.

ونمتلك رواية فريدة للمؤرخ ابن الوردي (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) أشار فيها إلى نهاية النسوي وما آل إليه أمره بعد ذلك، حيث يذكر أن الملك

---

(١٣٩) راجع أيضا شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٤٠٧.

(١٤٠) *P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.*

(١٤١) راجع نفثة المصدور، ص١٣٦-١٣٩.

المظفر استعمل النسوي في مهمة الكتابة أيضا، وأن النسوي خدم هذا الملك ونادمه، ثم تغير الملك عليه فجأة فقبض عليه وحبسه، ولا تذكر المصادر سببا لذلك سوى ما علق به ابن الوردي من أن الملك شهاب الدين استحال على النسوي "كعادة استحالاته، ثم تلطف حتى خرج من اعتقاله"(١٤٢).

وعلى أثر سوء العلاقة هذه بين النسوي والملك شهاب الدين غازي؛ خرج النسوي من ميافارقين والتحق بخدمة مقدم الخوارزمية الأمير بركة خان(١٤٣) الخوارزمي الذي عرف له حقه ومنزلته من السلطان الراحل جلال الدين، فأحسن إليه واستعمله وحرص على الاحتفاء به حتى صار النسوي عنده بمنزلة الوزير، فأثار ذلك حقد بعض الخوارزميين أتباع بركة خان، فلما قتل بركة خان سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م خلال حربه مع المماليك؛ انتقل النسوي إلى خدمة سلطان حلب الناصر يوسف بن العزيز الأيوبي(١٤٤) الذي اتخذه كذلك سفيرا له إلى المغول عدة مرات، وكان المغول أنفسهم يعظمون

(١٤٢) ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢ص١٧٧.

(١٤٣) **بركة خان الخوارزمى**: أحد ملوك الأسرة الخوارزمية الذين بقوا بعد وفاة السلطان جلال الدين منكبرتي، وكان ملكا جليلا عاقلا يميل إلى الخير والرفق بالناس، وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب قد صاهره وأحسن إليه ثم خرج على الصالح وأعان أعداءه، فانتدب نجم الدين أيوب لحربهم الملك المنصور صاحب حمص وشمس الدين لؤلؤ نائب السلطنة بحلب وجند لهم التركمان، فالتقى الجمعان على بحيرة حمص فقتل بركة خان في المعركة سنة ٦٤٤هـ، وحمل رأسه إلى حلب ولم تقم بعدها للخوارزمية قائمة. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠ص٧٥.

(١٤٤) **الناصر يوسف** بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب حلب ودمشق، من كبار ملوك الأسرة الأيوبية في الشام، ولد سنة ٦٢٧هـ، وكان ملكا حليما جوادا حسن الأخلاق محببًا إلى الرعية فيه عدل، كما كان يقول الشعر ويحسنه، فلما دخل المغول حلب وقبضوا على الناصر يوسف جاؤوا به إلى هولاكو فأكرمه، فلما هزم المغول في موقعة عين جالوت أمام المماليك، قتله هولاكو بين يديه كما قتل معه أخاه الظاهر سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م. الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج٣ص٢٩٧.

النسوي على سائر الرسل لمكانته من السلطان الراحل جلال الدين(١٤٥).

عاش النسوي بعد وفاة السلطان جلال الدين ما يقرب من عشرين عاما، وقد أشار بنفسه إلى أنه لما تأكد من وفاة سيده جلال الدين وهو مقيم بميافارقين كره حياته وتمنى الموت(١٤٦)، وكان النسوي دائم الحرص على العودة إلى موطنه في نسا بخراسان، بل وكثيرا ما كان يوصي بإعادة جسده بعد موته إلى مسقط رأسه في بلدته زيدر(١٤٧)، ورغم ذلك فإنه لم يفكر خلال هذه المدة أن يعود إلى هناك لعلمه أن المغول لن يتركوه على قيد الحياة إذا ما فكر في الخروج بهذا الاتجاه(١٤٨)، ولذا نراه ينتقل من بلدة إلى أخرى ويعمل في خدمة الملوك والأمراء حتى تحصل له من ذلك "ثروة ضخمة" في أخريات حياته، غير أن هذه الثروة لم تنفعه لما حان أجله، إذ مات في حلب في شهور عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م(١٤٩) رحمه الله تعالى، وكان بلا شك قد جاوز السبعين من العمر.

---

(١٤٥) ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢ص١٧٧؛ عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦٢؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٤٠٧.

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(١٤٦) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٨١.

(١٤٧) النسوي: نفثة المصدور، ص١٥٥-١٥٨.

(١٤٨) النسوي: المصدر السابق ص١٩٢-١٩٤.

(١٤٩) ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢ص١٧٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٥ص٣٢٠-٣٢١؛ عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦١-٦٢؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربي، ج٢ص٤٠٧؛ وراجع أيضا:

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

وقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين أن وفاة النسوي كانت في حدود عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م استنادا إلى ما ورد في كتابه سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي من أنه أتم كتابته في ذلك التاريخ، وقد ذكر هؤلاء المؤرخون أن النسوي لم يعرف عنه بعدها شيء، فاعتبروا وفاته وقعت آنذاك. الزركلي: الأعلام، ج٥ص٣٢٠-٣٢١؛ بارتولد: تركستان، ص١١٠-١١١؛ فؤاد الصياد، مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٥.

وقد أثنى عدد من المؤرخين المسلمين على محمد بن أحمد النسوي وبينوا فضله ومكانته من السلطان جلال الدين، فيذكر أبو الفداء[١٥٠] أنه "كان محظيا عند السلطان متقدما عنده"، ويقول ابن الوردي[١٥١] أن النسوي "كان كثير المروءة عذب الألفاظ حليما"، بينما امتدح ابن فضل الله العمري[١٥٢] أسلوب النسوي في الكتابة وأثنى على فصاحته وبلاغته التي تجلت بوضوح في كتابه سيرة السلطان جلال الدين، وهو من سنلمسه أيضا بوضوح في الصفحات التالية من خلال الحديث عن رسالته نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور.

(١٥٠) المختصر، ج٣ص١٥١؛ وراجع أيضا شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٤٠٧.
(١٥١) تتمة المختصر، ج٢ص١٧٧.
(١٥٢) مسالك الأبصار، ج١٢ص٣١٥.

المبحث الثاني:

رسالته نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور (محتوياتها وقيمتها)

أولا- عنوان الرسالة وظروف تأليفها وتاريخ كتابتها:

أ- عنوان الرسالة (نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور)(١٥٣):

لا يخلو عنوان رسالة نفثة المصدور لمحمد بن أحمد النسوي من مغزى ودلالة واضحة، فلقد أراد كاتبها (المصدور) أن ينفث فيها عن بعض آلامه وأحزانه في وقت فَتُرَ فيه زمن صدور القوم (السادة) وهم سلاطين الدولة الخوارزمية، وعلا فيه نجم فتور القوم (الأراذل) وهم المغول الذين يكثر النسوي من سبهم في مواضع مختلفة من رسالته هذه(١٥٤).

---

(١٥٣) لم يكن عنوان رسالة النسوي هذا هو الأول من نوعه الذي ورد في تاريخ التراث الأدبي والتاريخي في مؤلفات علمائنا المسلمين، فلقد ذكر بارتولد (تركستان، ص٩٣-٩٤) كتابا في تاريخ السلاجقة يحمل نفس العنوان أو قريبا منه كتبه شرف الدين أبو نصر أنوشيروان بن خالد كاشاني (ت: ٥٣٣هـ/١١٣٩م)، وهو عبارة عن ذكريات للمؤلف مكتوبة باللغة الفارسية تحت عنوان "نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور"، وعلى حد تعبير بارتولد نفسه فإن هذا العنوان يحمل معنى واضحا، وكان المؤلف يعمل وزيرا للخليفة المسترشد العباسي، ثم وزيرا للسلطان السلجوقي مسعود، ورسالته هذه عبارة عن مذكرات شخصية للمؤلف تعالج الأحداث الواقعة بين عامي (٤٦٥-٥٢٩هـ/١٠٧٢- ١١٣٤م)، راجع كذلك شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٣٩٣، حيث أورد ذكر رسالة الكاشاني باسم (فتور زمان الصدور المنبي عن القرون الخالية في العصور). وهناك ديوان شعري للقطب الراوندي سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣هـ /١١٧٧م) يحمل أيضا عنوان "نفثة المصدور"، ونفثة المصدور أيضا رسالتان باللغة الفارسية كتبهما صائن الدين أصفهاني العارف الغنوصي في عامي (٨٦٥-٨٦٦هـ/١٤٦٠-١٤٦١م) دفاعا عن نفسه أمام محكمة شكلها شاهرخ بن تيمور لنك لمحاكمته بتهمة التصوف والزندقة.

(١٥٤) راجع نفثة المصدور، ص١١٤-١١٥، ص١١٧، ص١٣٧.

وتمتلئ هذه الرسالة بمحبة مؤلفها لسلطانه جلال الدين منكبرتي وتقديره له والدفاع عنه، بل ومعاتبته في محبة على هجره له عند مفارقته، والتماس العذر له في التقصير في السؤال عنه أثناء البعد والفراق(١٥٥)، وقد كتبها المؤلف لينفث فيها عن مكنون صدره الذي امتلأ بحب هذا السلطان والشوق إليه، ففي هذه الرسالة أخرج النسوي بعضا من الألم الذي عاناه بعد فراقه لسيده جلال الدين وما لاقاه من العذاب والويلات خلال رحلة هروبه من يد المغول حتى لحق بالأيوبيين في ميافارقين(١٥٦)، يقول النسوي(١٥٧) بعد حديثه عما يحويه قلبه وصدره من متاعب وآلام، وما يعانيه من فراق السلطان والأهل والأحبة والأصدقاء الأوفياء ففكر في الكتابة.. "فليس هناك بد من نفثة المصدور التي يستطيع بها المهجور أن يجد معها راحته، وليس هناك مفر من أنين المهجور الذي يمكن أن يكون دواء للمتألم في ليل الهجر الداجي،.... فاقرأ نبذة من وقائعي وأحداثي التي يقتلع حدث واحد منها أركان الثريا، وجانب واحد منها كفيل بأن يزلزل الأرض بوقارها".

وكأن النسوي أراد في هذه الرسالة أن ينفث عن بعض آلامه وما عاناه من العذاب فكتبها بأسلوب أدبي لا يخلو من عرض لكثير من المعلومات التاريخية المهمة عن فترة من أهم الفترات في تاريخ الغزو المغولي للعالم الإسلامي وهي فترة سقوط الدولة الخوارزمية وما أعقبه من حوادث سبقت سقوط بغداد على أيدي المغول، ولم يكن النسوي يعلم وقت كتابته لرسالة نفثة المصدور بمقتل سيده جلال الدين، فلما علم بمقتله شرع في كتابه سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي باللغة العربية(١٥٨).

---

(١٥٥) النسوي: نفثة المصدور، ص٢٨، ص٢١٣-٢١٥.

(١٥٦) *P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.*

(١٥٧) نفثة المصدور، ص١١١.

(١٥٨) النسوي: نفثة المصدور، ص٢٨، ص٢١٢-٢١٣.

ب-تاريخ كتابة النسوي لرسالة نفثة المصدور:

اختلفت المعلومات التي بين أيدينا حول تاريخ كتابة النسوي لرسالة نفثة المصدور، فقد ذكر كل من المؤرخ العراقي عباس العزاوي[١٥٩] والدكتور شاكر مصطفى[١٦٠] أن النسوي كتبها في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، كما أشار إلى ذلك أيضا مترجم الرسالة إلى اللغة العربية[١٦١].

ومن المرجح أن تحديد كتابة النسوي لرسالة نفثة المصدور في عام ٦٢٢هـ/ ١١٢٥م ليس دقيقا؛ إذ المعروف أن هذه السنة هي ذاتها التي التقى فيها النسوي بجلال الدين لأول مرة في أذربيجان، حيث بدأت العلاقة بينهما تتوطد بعد أن أسند جلال الدين منصب ديوان الإنشاء للنسوي في نفس هذه السنة، ومن المؤكد أيضا أن النسوي قد كتب هذا الرسالة يبث فيها ألامه وأحزانه بعد أن فرق هجوم المغول بينه وبين سيده جلال الدين في شهور عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، ومن الثابت كذلك أن النسوي ألف هذه الرسالة باللغة الفارسية قبل تأليفه كتاب سيرة السلطان جلال الدين باللغة العربية في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م[١٦٢].

ومن خلال القراءة الدقيقة لما كتبه النسوي في رسالة نفثة المصدور نقف على بعض القرائن المهمة التي تساعد في التحديد الدقيق لكتابة هذه الرسالة منها ما ذكره أنه شرع في كتابتها بعد مرور أربع سنوات على فراقه

---

(١٥٩) التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، ص٦٤، ص٦٧.

(١٦٠) التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٤٠٨.

(١٦١) النسوي: نفثة المصدور، مقدمة الترجمة العربية، ص٩٧ حاشية (٨٢).

(١٦٢) *P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.*

لصديقه نجم الدين أحمد المقدم[١٦٣]، ويتخذ النسوي من هذا الحدث بداية واضحة للبدء في كتابة رسالته، يقول: "فاكتب ما حدث منذ ذلك اليوم الذي قمت فيه بوداع نجم الدين أحمد المقدم،....[١٦٤]،... وجملة ما مر على فراقه حتى اليوم أربع سنوات كاملة"[١٦٥]، وقد كان هذا الرجل مرافقا للنسوي خلال سفارته إلى الشيعة الإسماعيلية في ألموت بتكليف من السلطان جلال الدين منكبرتي، ووفقا لما ذكره النسوي[١٦٦] بنفسه فقد وقعت هذه السفارة في شهر رمضان سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م.

وفي موضع آخر من رسالة نفثة المصدور يشير النسوي[١٦٧] إلى مرور أربع سنوات أيضا على وجوده في رحاب الملك المظفر شهاب الدين غازي في ميافارقين، يقول: "وها هي أربعة أعوام قد مضت عليّ وقد ألقيت عصا الترحال والفرار في دار القرار هذه"، وأنه قد قضى هذه الفترة محملا "بعبء عدم الكتابة"، غير أنه لم يستطع الصبر فلجأ إلى قلمه يحاوره ويكتب به ما في قلبه فكانت رسالة نفثة المصدور[١٦٨].

ووفقا لهذه القرائن فإنه يمكن لنا أن نحدد بدقة تاريخ كتابة النسوي

---

(١٦٣) نجم الدين أحمد المقدم "سرهنك" أحد أصدقاء النسوي المقربين إليه، ويبدو أنه من قلعة زيدر بنسا مثل النسوي، وكان ضمن حاشية السلطان جلال الدين منكبرتي كذلك، والنسوي يعبر عن مدى قوة علاقته بهذا الرجل وأنه بدأ كتابة رسالته نفثة المصدور منذ ذلك اليوم الذي ودعه فيه ولم يره بعد ذلك، ولم يعرف مصيره. نفثة المصدور، حاشية المترجم رقم (١٢) ص١١٢.

(١٦٤) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٢-١١٣.

(١٦٥) النسوي: المصدر السابق، ص١١٥.

(١٦٦) سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٣٧، ص٣٣٩-٣٤١؛ وراجع محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٥٦-١٥٧.

(١٦٧) نفثة المصدور، ص٢٠٨-٢٠٩.

(١٦٨) النسوي: نفثة المصدور، ص٢١١.

لهذه الرسالة في شهور عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م حيث شرع النسوي في كتابتها وهو مقيم ببلاد العرب في ميافارقين بعد استقراره بها مدة أربع سنوات في رحاب بني أيوب، وهو ما أكد عليه كل من الأديب الإيراني رضا قلي خان هدايت(١٦٩) والمؤرخ عباس إقبال(١٧٠) والدكتور فؤاد الصياد(١٧١)، وكذلك المستشرق بيتر جاكسون *P. Jackson* (١٧٢).

ج- ظروف كتابة النسوي لرسالة نفثة المصدور:

من الثابت أن المؤرخ محمد بن أحمد النسوي قد ظل مرافقا للسلطان جلال الدين منكبرتي منذ أن التحق بخدمته عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م حتى فرق هجوم المغول بينهما، ذلك أن الخان المغولي أوكتاي قاآن بن جنكيزخان كان قد أرسل القائد المغولي جورماغون نويان بجيش لملاحقة جلال الدين والقضاء عليه في عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م(١٧٣)، وقد أخذ جلال الدين في الاستعداد ومراسلة الملوك والحكام المسلمين المجاورين لمساندته في حربه هذه ضد المغول(١٧٤)، وكان النسوي نفسه من بين سفرائه إلى بني أيوب في بلاد الشام(١٧٥)، وبعد أن استطلع جلال الدين أمر تحركات هذه الحملة المغولية؛ وصلته الأخبار الكاذبة بأنهم قد عادوا، فسُّر جلال الدين بذلك

(١٦٩) النسوي: نفثة المصدور، مقدمة هدايت، الترجمة العربية، ص٩٦-٩٧.

(١٧٠) عباس إقبال: تاريخ الغول، ص٤٧٥-٤٧٦.

(١٧١) فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٦.

(١٧٢) *P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.*

(١٧٣) رشيد الدين: جامع التواريخ "تاريخ خلفاء جنگيزخان"، ص٣٢؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٥٧.

(١٧٤) محمد صالح داوود القزاز: الحياة السياسية في العراق في عصر السيطرة المغولية، مطبعة القضاء بالنجف، بغداد، ١٩٧٠م، ج١ص٥٠.

(١٧٥) النسوي: نفثة المصدور، ص٩٣، ص١٣٥؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣٠.

وقضى وقته في راحة وطمأنينة وشرب الخمر، وكان النسوي لا يزال مرافقا له حتى ذلك الحين حيث شرع في إنشاد المقطوعات الشعرية في تلك المناسبة(١٧٦).

ولم يلبث جلال الدين وجمعه إلا أن باغته المغول فشتتوا شملهم ولاذ كل منهم بالفرار، وتمكن المؤرخ محمد بن أحمد النسوي من الهروب والنجاة بنفسه حيث التجأ إلى منطقة جبلية احتمى بها، وقد لاقى في هروبه هذا من المشقة والتعب والويلات ما لم يقدر على تحمله حيث سجله بنفسه تفصيلا في رسالته نفثة المصدور، وقد اضطر في النهاية إلى الالتجاء إلى بني أيوب نظرا لما كان لهم من سابق معرفة به من سفارته إليهم أيام جلال الدين الأخيرة، فقد رقوا لحاله واستقبلوه وأكرموه، فنزل في جوارهم واحتمى بهم، وبعد مرور أربع سنوات على استقراره في رحاب بني أيوب بدأ في كتابة رسالته نفثة المصدور إلى أهله وأحبابه وأصدقائه يصف فيها ظروف هروبه وما لاقاه من الويلات والمتاعب، كما وصف لنا حاله وما آل إليه أمره بعد هجوم المغول وفراقه لسيده جلال الدين(١٧٧).

يقول النسوي(١٧٨) "في هذه الأيام، أمسكت بالقلم الذي يصبح في الغربة حارسا للضمائر ومترجما للسرائر قاصدا أن أدون سطورا عن جانب من لهيب الحرقة التي انطوى عليها ضميري واندلعت نيرانها في ذاكرتي لأروى قصة الشكوى من ذلك الحزن الدفين الذ يسكن صدري المكتئب"، كما يشير إلى أن هذه الرسالة ما هي إلا جزء قليل من سيرة حياته الخاصة أراد فيه أن يكتب "بعض الفصول عن الشكوى من الحظ العاثر،... رغبت في أن

(١٧٦) النسوي: نفثة المصدور، ص٩٤-٩٥، ص١٢٤-١٢٥.

(١٧٧) النسوي: نفثة المصدور، ص٩٦-٩٧، ص١٤٦-١٥١.

(١٧٨) نفثة المصدور، ص١٠٧.

أفضفض عما تنطوي عليه أحناء ضلوعي، وعما احتوى عليه قلبي المفعم بالحزن،... وأدون بقلمي من سيرتي التي لا تتحملها الجبال... أحداثا مختصرة يطول شرحها ويستغرق استيعابها أعمارا طوالا"(١٧٩).

في هذه الظروف ولهذه الأسباب كتب النسوي رسالته مدونا فيها "ما رآه من خير ومن شر من تقلبات الزمان، وما تذوقه من كأس الزمان من شهد ومرارة وبرد وحرارة،... حتى يتضح لمن يسمع أو يقرأ إلى أي مدى دارت طاحونة الزمن القاسية على روحه، وكم مرة قتلت النكبات جسده المسكين، ورغم ذلك لا يزال حيا"(١٨٠)، وفي هذه الرسالة تألم النسوي كثيرا من فقدانه الصحبة والأهل والأصدقاء الأوفياء(١٨١)، بعد أن طالت به سنوات الغربة تحمل فيها الآلام والأحزان وقلة اهتمام من حوله به، ولم يعد "في جسده موضع لأنملة لم تصبه نوبة من نوبات المحن"(١٨٢)، وكان من أكبر المصائب التي واجهها ودفعته للكتابة مفارقته لسيده جلال الدين وما حدث خلال المواجهة الأخيرة له مع المغول التي كانت عند النسوي بمثابة "طامة كبرى ألمت بالعالم كله، وكأن الشمس حجبت بالغروب"، فيعود النسوي ليفكر في نفثة صدره بعد تلك "المصيبة التي ليس بمقدوره أن يفي حقها بالبكاء والعويل على المدى الطويل"، ثم يستأنف الحديث عن نفسه هو بما حل بجسده المهجور وقلبه العليل (١٨٣).

---

(١٧٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٠٨.

(١٨٠) المصدر السابق، ص١١٣.

(١٨١) المصدر السابق، ص١٠٨.

(١٨٢) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٠-١١١.

(١٨٣) النسوي: نفثة المصدور، ص١٥١، وما بعدها يتحدث النسوي عن آلامه وأحزانه بعد فراقه لسيده جلال الدين (صفحات ١٥٢-١٥٤).

ثانيا: محتويات رسالة نفثة المصدور:

على الرغم من أن رسالة نفثة المصدور قد حوت كثيرا من سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي(١٨٤)؛ فإن النسوي لم يكن وقت كتابته لها يهدف إلى تدوين سيرة خاصة بمخدومه، كما أنه لم يكن يهدف إلى كتاب تاريخ بالمعنى الدقيق إذ حوت الرسالة بعض المذكرات الشخصية والمواقف الحياتية واليوميات لمؤلفها النسوي وأغلبها وقعت له خلال الفترة الزمنية الممتدة بين عامي ٦٢٧-٦٣٢هـ/١٢٢٩-١٢٣٤م(١٨٥).

ورغم ذلك؛ فإن رسالة نفثة المصدور بما تضمنته من معلومات قليلة ونادرة تكشف لنا عن بعض الأمور المهمة في تاريخ مواجهات جلال الدين مع المغول وتخاذل الحكام المسلمين عن نصرته، كما أنها تبين لنا ضعف رجال الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية وتخاذلهم وتفرق كلمتهم في وقت كانوا أحوج فيه لتوحيد الكلمة والصف، وتبين الرسالة بوضوح مدى ما وصل إليه حال المسلمين في ذلك الوقت من الخوف والضعف والخذلان وعدم المقدرة على مواجهة طوفان الغزو المغولي، كذلك تضمنت رسالة نفثة المصدور رحلة هروب مؤلفها النسوي منذ مفارقته لجلال الدين في رمضان عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م حتى استقر بها المقام في ميافارقين.

وفيما يلي بيان ما حوته هذه الرسالة من حوادث ومعلومات تاريخية تتعلق بالسلطان جلال الدين أو بكاتبها النسوي نفسه.

---

(١٨٤) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٤٧٥-٤٧٦؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٦. ومن المعلوم أن النسوي قد شرع في كتابه سيرة السلطان جلال الدين بعد علمه بمقتل جلال الدين وأنه قد أنهى هذه السيرة في عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م وهو مقيم بميافارقين.

(١٨٥) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٤٧٥-٤٧٦؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٦؛ أيضا:

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

١- مواجهات جلال الدين مع المغول:

إن ما تضمنته رسالة نفثة المصدور للنسوي من معلومات حول حروب جلال الدين مع المغول ليست كثيرة قياسا بما كتبه النسوي وفصله في كتابه الآخر سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، إذ لم يكن النسوي وقت كتابته لهذه الرسالة يهدف إلى ذلك، كما لم يكن يعلم حينها بمقتل سيده جلال الدين، فلما علم شرع في تأليف كتابه سيرة السلطان وأتمه وهو مقيم في ميافارقين في سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م حيث عرض فيه تفصيلا لهجوم المغول على الدولة الخوارزمية من أيام السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه واصفا ما فعلوه من قتل وتدمير لبلاد خوارزم وما وراء النهر وخراسان حتى وصولهم العراق العجمي وأذربيجان ومواجهات السلطان جلال الدين منكبرتي لهم حتى قضى نحبه على يد الأكراد في منتصف شوال سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م.

كتب النسوي رسالة نفثة المصدور قبل كتابته لسيرة السلطان، وعلى الرغم من أن المقام هنا ليس مقام المقارنة بين المُؤَلَفين؛ فإن هناك كثيرا من النقاط المهمة التي عرض لها النسوي إجمالا في رسالته نفثة المصدور ثم شرحها بعد ذلك تفصيلا في كتابه سيرة السلطان، وسنتوقف فيما يلي على ما أجمله النسوي من مواجهات عسكرية بين جلال الدين والمغول خلال عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م حيث سبقت كتابته لهذه المواجهات ما شرحه تفصيلا فيما بعد لها في كتاب الآخر سيرة السلطان.

أ- الحرب بين جلال الدين والمغول في سهل موغان (أوائل عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م):

كانت الحملة المغولية الأخيرة المكلفة بملاحقة جلال الدين والقضاء عليه في غربي إيران يقودها القائد المغولي جورماغون بتكليف من الخان

المغولي أوكتاي بن جنكيز خان كما سبقت الإشارة، وقد أعد المغول لهذه الحملة جيدا، ولما علم جلال الدين بتحركات هذه الحملة وقوتها وقرب وصولها إليه في أذربيجان؛ حاول أن يحصل على دعم من الخلافة العباسية أو سلاجقة الروم أو الأيوبيين في بلاد الشام والجزيرة موضحا لهم أنه بمثابة السد المنيع الذي يحميهم من هجوم المغول، فلم يجبه أحد إلى ما طلب إذ كانت علاقته بجميع هذه القوى قد ساءت خلال الفترة السابقة(١٨٦)، وعلى حد تعبير النسوي واصفا هذه العلاقة في رسالة نفثة المصدور "هيهات لجسد تأذى على مدار سنوات بقرح على قرح وجرح على جرح أن ينصلح حاله وتندمل جراحه بتداوي أسبوع واحد"(١٨٧).

ويشير النسوي إلى علمه بخبر تجمع المغول عند مدينة زنجان(١٨٨) الواقعة جنوبي أذربيجان وأنه علم بقصدهم لسيده جلال الدين حيث تبعد المسافة بينهم في زنجان وبين موغان "خمسة أو ستة منازل"(١٨٩)، فأخبر النسوي سيده جلال الدين الذي أرسل على الفور فرقة استطلاعية صغيرة مكونة من خمسة عشر فارسا خوارزميا لتستكشف له أخبار تحركات المغول عند زنجان، وقد وقعت هذه الفرقة في مواجهة غير متكافئة مع فرقة استطلاعية من المغول قوامها سبعمائة فارس فلم يفلت من الخوارزمية إلا

---

(١٨٦) ابن الأثير: الكامل، ج١٠ص٤٩٠-٤٩٢؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢١٨-٢٢٠؛ رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٤؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٥٨-١٥٩؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ج١ص٥٠.

(١٨٧) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٣.

(١٨٨) **زنجان**: بلدة مشهورة تقع في شمالي إقليم الجبال على الحدود الجنوبية لأذربيجان، وكانت قد تعرضت زنجان للتخريب على يد المغول خلال غزوهم الأول لهذه المنطقة قبل استقرار جلال الدين بها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣ص١٥٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤ ص٣٦٩؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٥٧.

(١٨٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٢٢.

قائد الفرقة "يرغو" الذي عاد مسرعا إلى سلطانه جلال الدين بالخبر المزعج في تبريز(١٩٠).

ووصلت أخبار وصول المغول مدينة سراو(١٩١) إلى جلال الدين، فتحرك مسرعا صوب إقليم موغان(١٩٢)، وكانت عساكر جلال الدين متفرقة في موغان وأران(١٩٣)، فكان عليه أن يجمعها، وبلغ من شدة انزعاج جلال الدين عند خروجه من تبريز لما علم بقصد المغول له أنه ترك في هذه المدينة أسرته دون رعاية أو حماية، فكان ذلك من أهم أسباب حزنه وألمه(١٩٤).

وفي طريقه إلى موغان تلقى جلال الدين خبرا خاطئا من واليه على قلعة "بلك" الواقعة جنوبي قلعة خلخال في شرقي إقليم أذربيجان مفاده أن فرقة الاستطلاع المغولية سابقة الذكر قد أقامت في مرج زنجان ولم تتخطاه إلى أذربيجان، فانخدع السلطان بذلك، ويذكر لنا النسوي(١٩٥) الذي كان مرافقا

---

(١٩٠) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٥٠-٣٥١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٨٩؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٣؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٥٧؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١٠٨.

(١٩١) **سراو**: مدينة بأذربيجان بين أردبيل وتبريز، بينها وبين أردبيل ثلاثة أيام، وكانت قد نالها الخراب على يد المغول أول مرة عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣ص٢٠٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٩٧.

(١٩٢) الجوينى: تاريخ چهانگشاي "تاريخ فاتح العالم"، تعريب د. محمد التونجى، دار الملاح دمشق، (ط١)، ١٩٨٥م، ج٢ص٨٧؛ رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٥؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٥٧؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١٠٨.

(١٩٣) النسوي: نفثة المصدور، ص١٢٦.

(١٩٤) أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٨٩؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٣؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١٠٨.

(١٩٥) سيرة السلطان، ص٣٥١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٣؛ وراجع محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٥٨.

لجلال الدين آنذاك أنه قال للسلطان: "يمكن أن يكون ذلك استطلاعا للمغول، ومعظم العسكر وراءهم، فلم يعجبه ذلك".

وفي رسالة نفثة المصدور يشرح لنا النسوي بالتفصيل بعين المشاهد الوضع المهين لجيش جلال الدين وعدم كفياته واستعداده لحرب المغول عند موغان، وقد قام النسوي بدور الناصح للسلطان بضرورة الاستعداد لملاقاة المغول، ويذكر أنه وجه لوما وعتابا للسلطان جلال الدين على عدم اكتراثه للحرب والمواجهة المنتظرة، كما أشار إلى انشغال جلال الدين آنذاك بالخروج للصيد واللهو وشرب الخمور واللعب بالكرة والصولجان، ويبكي النسوي على ما يراه من زوال الملك والدولة الخوارزمية، يقول(١٩٦): "كان على السلطان أن يتمركز في موغان لفترة اثني عشر يوما يعمل فيها على تنظيم الصفوف واستعراض الجيوش وتدريب السذج، وتجديد السلاح، إلا أنه كان يركب منذ بداية الصباح حتى انتهاء الرواح لصيد الغزلان والبط، ويوصل الغبوق بالصبوح في سماع لضرب الناي والعود، وغفل بالنغمات الملكية عن النغمات الأميرية، وانشغل بأوتار المعازف والملاهي عن أوتار الملوك، وأخذ ينشد نشيد الرحيل والوداع على سلطنته...، ولأن النصيحة تستوجب الفضيحة؛ واللوم في مثل هذه الحالة لا يفيد كنت أنظر بعين العبرة لنهاية الأمور، وأبكي في باطني بحرقة على زوال الملك والدولة".

وكان جلال الدين قد نجح في النزول عند قلعة سير كبود بموغان(١٩٧) التي كان جلال الدين قد كلف النسوي بإيداع أسير مغولي بها كما سبق

---

(١٩٦) نفثة المصدور، ص١٢٣؛ وراجع ما كتبه النسوي كذلك في كتابه سيرة السلطان، ص٣٥١-٣٥٢؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢١.

(١٩٧) النسوي: سيرة السلطان، ص٢٥٣؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢٠-٢٢١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٠؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٥٨.

القول[١٩٨]، وقد وصلت طلائع الجيش المغولي إلى موغان وسارعوا قاصدين القبض على جلال الدين في مخيمه ليلا، لكنهم فشلوا في الإمساك به إذ نجح جلال الدين في الفرار منهم على امتداد شاطئ نهر أرس لكن جنده تفرقوا جميعا[١٩٩]، بينما نجح جلال الدين في إيهام المغول الذين خرجوا وراءه لاقتفاء أثره في أنه سوف يعبر نهر أرس، ويتوجه شمالا إلى كنجه، ثم انحرف فجأة إلى الجنوب عائدا إلى أذربيجان حيث أقام هناك ببلدة ماهان[٢٠٠]، وقد عنف القائد المغولي جورماغون جنده الذين تهاونوا في القبض على جلال الدين، إذ كيف لهم أن يمهلوا مثل هذا الخصم وقد أصبح ضعيفا"[٢٠١].

وفي رسالة نفثة المصدور يشرح النسوي حال هروب سيده جلال الدين من موغان، كما لاذ النسوي نفسه بالفرار من موغان إلى بيلقان ثم إلى كنجه حيث أقام بها ثلاثة أشهر متواصلة عبر فيها عن حزنه الشديد لتشتت أصحابه وأحبابه وفراقه للسلطان وما آل إليه أمره، يقول[٢٠٢]: "صرت بعيدا عن بلاط السلطان ينبوع الأماني ومنبع مختلف الآمال".

وقد أدت هذه الأوضاع السيئة التي آل إليها حال السلطان جلال الدين

---

(١٩٨) النسوي: نفثة المصدور، ص١٢٦؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢١؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٥٩.

(١٩٩) النسوي: سيرة السلطان، ص٢٥٣؛ الجوينى: تاريخ چهانگشاي، ج٢ص٨٧؛ عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٤٠٤؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين، ص١١٠.

(٢٠٠) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٥٣؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢١-٢٢٤؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٠؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٣؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٥٨-١٥٩؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١١٠.

(٢٠١) رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٥؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٥٩.

(٢٠٢) نفثة المصدور، ص١٢٩؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢١-٢٢٢.

وجيشه بعد مباغتة المغول له عند موغان إلى تمرد وزيره شرف الملك خواجه جهان، وقد تضمنت رسالة نفثة المصدور أخبارا وافية حول تمرد الوزير شرف الملك وعصيانه للسلطان، فيذكر النسوي أنه بعد هروبه إلى بيلقان وجد أن الوزير شرف الملك قد سبقه إليها وتجمع معه بها بعض المتمردين وبينهم أعداء النسوي، فأعلن الوزير تمرده وعصيانه لجلال الدين كما أعلن سيطرته على مدينة كيران وقلعتها(٢٠٣)، وقد سبقت الإشارة إلى استدعاء جلال الدين لوزيره شرف الملك الذي جاءه حاملا كفنه مبديا الندم والاعتذار، فعزله جلال الدين عن منصب الوزارة وحبسه، ثم قتله بعد ذلك بأيام(٢٠٤).

ب- قمع تمرد العامة في كنجه ومواجهة المغول بها (جمادى الآخرة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م):

وصف لنا النسوي في رسالة نفثة المصدور سوء أحوال بلاد السلطان جلال الدين في أذربيجان ونواحيها بعد مباغتة المغول له في موغان، وكان إحدى فرق المغول قد اقتحمت مدينة كنجة فخربتها هي الأخرى، وكأن "الله قد أحل سخطه على السلطان بأن جعل رباعه وديار مرتعا لجيش التتار الوثار"(٢٠٥).

---

(٢٠٣) النسوي: نفثة المصدور، ص١٢٨-١٢٩؛ الجوينى: تاريخ چهانگشاي، ج٢ص٨٧-٨٨؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩١؛ **وكيران**: مدينة بأذربيجان بين تبريز وبيلقان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤ص٤٩٧.

(٢٠٤) النسوي: سيرة السلطان، ص١٨٣-١٨٤؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢٣-٢٢٥؛ رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩١-٢٩٢؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٣١١-٣١٢؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٤؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٦٠؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١١٢-١١٣.

(٢٠٥) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣١.

كان النسوي بهد هروبه من موغان قد وصل إلى كنجه حيث أقام بها مدة ثلاثة أشهر كما سبق القول، كما أنه كان قد عزم على البحث عن السلطان جلال الدين والعودة للانتظام في سلك خدمته مرة أخرى، وقد نجح في ملاقاة السلطان في مدة أسبوع بعد الخروج من كنجه(٢٠٦)، ولما كان بعض المتمردين في كنجه قد أعلنوا ولاءهم للمغول وقتلوا بعض العسكر الخوارزميين وأرسلوا رؤوسهم للمغول لإعلان الولاء لهم(٢٠٧)؛ ولما كان المغول قد هاجموا كنجه وخربوها؛ فقد كان السلطان جلال الدين قد رسم من قبل خطة المواجهة مع المغول عند كنجه، فلما التقى بكاتبه النسوي العائد من كنجه؛ قرر جلال الدين التوجه إلى المدينة لإنهاء التمرد بها، وقد استوجب منه ذلك إعادة تجميع جنده المتفرقين مرة أخرى وبخاصة في إقليم أران، فكلف كاتبه النسوي بالذهاب إلى أران للقيام بهذه المهمة كما سبقت الإشارة، مهمة تجميع الجند المتفرقين ودعوة التركمان للانضمام لجيش السلطان، وقد نجح النسوي في مهمته بعد أن أقنع أمراء التركمان بخطورة تحركات المغول(٢٠٨)، وتحرك معهم جلال الدين، فاضطر المغول في كنجه إلى العودة والتراجع إلى مدينة أوجان(٢٠٩) حيث كان مركز قيادتهم بها

---

(٢٠٦) النسوي: المصدر السابق، ص١٢٩، ص١٣٢.

(٢٠٧) أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢١-٢٢٢؛ عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص٤٠٤؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٦٠-١٦١؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين، ص١١٤.

(٢٠٨) راجع محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٥٩-١٦١؛
P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(٢٠٩) **أوجان**: مدينة بأذربيجان تقع بظاهر العاصمة تبريز، وهى مدينة عامرة ذات مروج ممتدة وماء وفير، وكان إيلخانات المغول في إيران يقضون بها فصل الشتاء. العمري: مسالك الأبصار، ج٣ص١٩٩.

آنذاك[٢١٠]، بينما دخل جلال الدين مدينة كنجه ونكل برؤوس الفتنة بها، وأقام بها بعض الوقت (سبعة عشر- يوما)، اطمأن خلالها على استقرار الأوضاع في المدينة[٢١١] ثم رحل منها تجاه مدينة خلاط[٢١٢] حيث دفعته إلى

---

(٢١٠) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٦٢-٣٦٣؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٤-١٦٥؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٥٩؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١١٤-١١٥.

(٢١١) أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢٩؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٤؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٥؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٦٠-١٦١؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١١٥.

(٢١٢) مما يجدر ذكره في الحديث عن اتجاه السلطان جلال الدين صوب مدينة خلاط في هذا التوقيت أن المدينة كانت آنذاك ضمن حدود دولته بعد أن فتحها من قبل وفقا لرواية المؤرخين المسلمين، وعليه وجب تصحيح الخطأ التاريخى الذي ورد في الترجمة العربية لرسالة نفثة المصدور والذي يقول بأن النسوي ذكر أن السلطان جلال الدين قد تحرك بعدد كبير من الجند صوب ديار الشام وأنه وصل حدود أخلاط في رمضان سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م، راجع الترجمة العربية لرسالة نفثة المصدور، ص١٣٢-١٣٣، وقد استدرك مترجم الكتاب على هذا التاريخ فذكر أنه قد صححه عن تاريخ ورد في نسخة النفثة المخطوطة مكتوبا بالحروف العربية هكذا (سنة تسعة وعشرين وسبعمائة) فأشار إلى تصحيحه لهذا التاريخ وذكر أن المقصود هو عام ٦٢٩هـ وليس ٧٢٩هـ وأن هذا الخطأ هو من الناسخ بلا شك. النسوي: نفثة المصدور ص١٣٢ حاشية (٥٦)، ومن المؤكد أن هذا التاريخ غير دقيق حيث أكد النسوي في سيرة السلطان جلال الدين أن وفاة جلال الدين كانت في منتصف شوال من عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، فكيف له أن يذكر في نفثة المصدور بقاء السلطان على قيد الحياة بعد هذا التاريخ وتحركه بالجيش تجاه أخلاط؟؟، النسوي: سيرة السلطان، ص٣٨٥. وتأكيدا لذلك فقد أشار النسوي وشرح بالتفصيل الحصار الطويل الذي حاصره السلطان جلال الدين لمدينة أخلاط وانتهى بفتحها في أواخر عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، ولعل ذلك هو الأقرب لترتيب الحوادث ومنطقيتها. النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٢٩٩، ص٣٢٠. وقد ذكر ابن الأثير أن فتح جلال الدين مدينة أخلاط كان في ٢٨ جمادى الأولى من عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، الكامل، ج١٠ص٤٨٤-٤٨٥، وراجع لمزيد من التفاصيل حول الاستيلاء على خلاط، رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٢-٤٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٧٩-٢٨٦؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جص١٥٩-١٦٠؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٤٧-١٥٢.

هناك رغبته في الاستعانة بدعم الحكام والملوك المسلمين لتعزيز قواته ومساندته في مواجهة المغول(٢١٣).

ج- المواجهة الأخيرة بين جلال الدين والمغول وفراق النسوي لجلال الدين (رمضان ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م):

لم يكن السلطان جلال الدين قد أفلح في تكوين جيش ذي أهمية من أهالي البلاد التي حكمها في أران وموغان وأذربيجان ونواحيها بعد عودته من الهند واستقراره في هذه النواحي؛ إذ كان أهالي هذه البلاد في الغالب ممن يعملون بالزراعة، فلم تكن لهم خبرة بشئون الحرب، كما كان أولئك المساكين قد ملئوا رعبا من قبل عندما هاجم المغول بلادهم أيام جنكيزخان الذي سير اثنين من كبار قادته لمطاردة السلطان الخوارزمي الهارب علاء الدين محمد، وكان هذان القائدان قد دخلا هذه البلاد وأشاعا فيها الرعب وظل هذا الشعور ملازما لأهالي هذه المناطق من جهة المغول حتى بعد رحيلهم(٢١٤)، أما جلال الدين فقد أصبح وقد تخلى عن مساعدته كل جيرانه من الحكام والملوك المسلمين، وتحتم عليه أن يختار في هذا الموقف بين أمرين كلاهما صعب، الأول: مواجهة المغول بما تبقى معه من رجاله وهم عدد غير قليل قياسا بجحافل المغول، والثاني: الفرار من وجه المغول بالهرب إلى إحدى بلاد الجزيرة(٢١٥).

ويحكى النسوي في رسالته نفثة المصدور أنه قبل وصوله إلى السلطان جلال الدين بعد عودته من ميافارقين خالي الوفاض من سفارته إلى الملك

---

(٢١٣) أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٢٩.

(٢١٤) راجع ابن الأثير: الكامل، ج١٠ص٤٠٩-٤١٧؛ حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٣٣؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين، ص١٢٤.

(٢١٥) صبري سليم: السلطان جلال الدين، ص١٢٢.

المظفر شهاب الدين غازي، كان قد "وصل إليه أحد أمراء التتار الفارين منهم لطلبهم دمه وقد استطاع الهرب والفرار قبل أربعة أيام ولجأ إلى معسكر السلطان، وأخذ يصف أحوالهم كبيرها وصغيرها ويخبر بأن القوم قد بدأوا سيرهم وأحالوا ضوء النهار إلى ليل مظلم من تراب وغبار سيرهم، وحولوا الليل البهيم إلى نهار وضاح من مشاعل نيرانهم"(٢١٦).

وقد كان جلال الدين في هذا التوقيت مقيما على حدود مدينة خلاط، فلما علم بأن المغول اكتشفوا مكانه وأنهم سيباغتونه من نواحي تبريز في رمضان من عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م(٢١٧)؛ تحرك صوب مدينة حاني الواقعة شمالي مدينة آمد وأقام عند جبل جور، وهناك وافاه هذا الأمير المغولي الهارب وشرح له أحوال المغول واستعدادهم وطلب منه أن يستخدم معهم أسلوب الكمين في الحرب(٢١٨)، أما النسوي فقد انضم لمعسكر السلطان وأخبر رد الملك شهاب الدين غازي للسلطان جلال الدين(٢١٩).

وفي الحقيقة فإن استعدادات جلال الدين لمحاربة المغول في هذه الموقعة لم تكن مقبولة على الإطلاق، ويمكن لنا أن نستنتج مدى الضعف الذي كان عليه معسكر جلال الدين من خلال ما أورده النسوي في رسالة نفثة المصدور حيث شاهد بنفسه وعلق على هذه الاستعدادات قائلا: "كان السلطان قد جمع قادة الجيش والعسكر، وللحيطة دفع بأربعة آلاف رجل من رجال الحرب وحاملي السيوف والرماح كطليعة للجيش وسلم زمام القبض

(٢١٦) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤١.

(٢١٧) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨ق٢ص٦٦٦

(٢١٨) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٧٥، محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٦٢-١٦٣؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين، ص١٢٥.

(٢١٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤١، سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٧٦؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣١.

والبسط... لمخنث لا هو برجل ولا هو بامرأة، وأثبت لثعلب خداع القيادة والسيادة على أسود المصاع وشجعان القراع"[٢٢٠].

وقد أشار مترجم رسالة نفثة المصدور إلى اللغة العربية إلى أن النسوي قصد هنا الوزير شرف الملك خواجه جهان[٢٢١]، ولكن بمراجعة كتاب سيرة السلطان جلال الدين نجد أن النسوي يذكر أن السلطان كان قد كلف قائده المسمى "أوترخان" الذي كان يتصل به من ناحية أمه على رأس أربعة آلاف فارس وجعله على طليعة الجيش وأمره بالتقدم ونصب الكمين للتتار، فرجع المذكور وأخبر أن التتار قد رجعوا من حدود منازجرد كذبا وجبنا منه عن لقائهم[٢٢٢].

وحاول النسوي جاهدا شحذ همم الجند وتحفيزهم للقتال وتقديم النصح للسلطان جلال الدين خلال هذه المواجهة مع المغول، يقول "فأخذت أنا العبد الحقير أصيح بلسان فصيح "يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم، فانفروا ثبات وانفروا جميعا[٢٢٣]، وأقول زاعقا في آذان أولئك الذين صمت آذانهم: أفيقوا، استيقظوا...، تأملوا وتمعنوا...، وأعدوا لهم ما استطعتم من خيل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم[٢٢٤]،... ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون[٢٢٥]،... كنت أنصح، وساء عاقبة المنذرين...، ولكنهم اختاروا

(٢٢٠) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤١-١٤٢.

(٢٢١) النسوي: المصدر السابق، حاشية المترجم رقم (٧٤) ص١٤٢.

(٢٢٢) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٧٥؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٥؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٦٣؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين، ص١٢٥.

(٢٢٣) اقتباس قرآني من سورة النساء، آية ٧١.

(٢٢٤) اقتباس قرآني من سورة الأنفال، آية (٦٠).

(٢٢٥) اقتباس قرآني من سورة الأنفال، آية (٢٣).

فورة كأس الخمر وتتابع القبلات...، والطريف أنني أنا العبد الضعيف الذي كنت قد وصلت إليهم كغزال مزق حبال شركه... أخذت أبالغ في تحذيرهم جميعا، بعدها صرت مثل جميع البلهاء في مدينة العميان، ووضعت يدي على عيني المفتوحة وأغمضت بصيرتي وتلاشت المصلحة"(٢٢٦).

أدرك السلطان جلال الدين أن المغول لن يتراجعوا حتى يتمكنوا من القبض عليه والتخلص منه، ولذلك حاول عبثا أن يستدرك من أمره ما يستطيع، فاستحضر إليه القادة والأمراء الخوارزميين واجتمع بهم في مدينة حاني واستعرض معهم حقيقة الوضع العسكري مبينا أن جيشه آنذاك ليس بمقدوره مواجهة المغول دون دعم أو مساعدة فعالة من الحكام المجاورين(٢٢٧)، واغتر جلال الدين بما وعده به الملك مسعود حاكم آمد من أنه سوف يدعمه بأربعة آلاف فارس يقودهم بنفسه(٢٢٨)، فدعم ذلك فكرة جلال الدين بالبقاء عند آمد وعدم التوجه إلى مكان آخر.

وعبثا حاول جلال الدين تحفيز أمرائه وجنده وتعبئتهم بالسلاح وشحذ هممهم، "ولكن أي فائدة في هذا ومدة الدولة كانت قد وصلت إلى انكسارها وانقضائها، ونوبة الملك والسلطنة إلى نهايتها"(٢٢٩)، وقد تخلى

(٢٢٦) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤٣-١٤٥.

(٢٢٧) راجع ابن الأثير: الكامل، ج١٠ص٤٩٢؛ النسوي: نفثة المصدور، ص١٤١؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣٠-٢٣١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٤-٢٩٥؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٦٢-١٦٣.

(٢٢٨) أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٣٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٥-٢٩٦؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٦٥-١٦٦؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٦٤؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١٢٦.

(٢٢٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤٢. وتثبت هذه التعليقات أن النسوي كتب رسالة نفثة المصدور بعد فراقه لجلال الدين بمدة، إذ إنه يتحدث وكأنه استشرف ما وقع من هزيمة لجلال الدين فلم تغن عنه استعداداته وما اتخذه من تدابير لحرب المغول قبل فراقه وانقطاع خبره عن النسوي.

جلال الدين تلك الليلة التي كبسه فيها المغول عن حذره فقضى وقته في الراحة مقبلا على شرب الخمر حتى سكر، ويشير النسوي إلى أن جلال الدين في تلك الليلة جاءه شخص تركماني يقول له: "إني رأيت في منزلك الذي كنت أمس نازلا به عسكرا زيهم غير زي عسكرك، بخيل أكثرهم شهب، فكذبه السلطان، وقال: هذه حيلة ممن لا يختار توسطنا هذه البلاد"(٢٣٠)، فأمضى جلال الدين وعسكره ليلتهم تلك عاكفين على الشراب، فتسلل فرسان المغول في الثلث الأخير من الليل خلسة بقيادة الأمير المغولي "باتماس" إلى مخيم السلطان فوجدوه يغط في نوم عميق، فأحاطوا به وقد تفرق عنه جنده(٢٣١).

وعن لحظة محاصرة المغول للسلطان في مخيمه ثم هروبه، يقول النسوي باكيا: نزل المغول "بخيمة سلطان الدنيا والدين وأحاطوا بها إحاطة الدائرة بنقطة المركز،... ولم تستطع النفس بكل طاقتها أن تخترق صفوفهم" فتفرق عنه جنده وعسكره وأخذ كل منهم يبحث لنفسه عن مهرب، ويبكي النسوي حال سيده تلك ويحمل جنده الفارين من الميدان مسؤولية ما حدث(٢٣٢)، أما النسوي نفسه فيذكر أنه كان نائما تلك الليلة بعد سهر طويل قضاه في الكتابة، فلم يشعر إلا وقد أيقظه غلام يقول له: "قم فقد قامت القيامة"، فخرج

(٢٣٠) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٧٨؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٦؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٦٤؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١٢٧.

(٢٣١) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٧٨-٣٧٩؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣٢؛ الجوينى: تاريخ جهانگشاي، ج٢ص٨٨-٩٠؛ رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٥-٤٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٦-٢٩٧؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٦٤؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١٢٧.

(٢٣٢) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤٦-١٤٩.

النسوي على الفور وترك كل ما يملكه وفر هاربا على فرسه بعدما رأى المغول يحيطون بمخيم السلطان(٢٣٣).

وفي رسالة نفثة المصدور يبكي النسوي بحرقة على ما وقع لسيده جلال الدين ويمتدحه وكأن يودعه(٢٣٤)، ولم يكن النسوي وقت كتابته لهذه الرسالة على علم بما حدث للسلطان بعد ذلك، هل قتل أم تمكن من الهرب آنذاك؟!، فلقد هم النسوي بالهرب راكبا فرسه نجاة بنفسه، فلما استقر به الحال في ميافارقين بعد رحلة هروب طويلة؛ ووصله خبر مقتل جلال الدين(٢٣٥)؛ شرع النسوي في كتابة سيرة سيده جلال الدين فشرح لنا فيها مصير السلطان جلال الدين من وقت حصار المغول له في مخيمه حيث يقول أن "بعض خواص" السلطان دخلوا الخيمة تلك الليلة فأخرجوه وعليه طاقية بيضاء وأركبوه فرسا، فهرب جلال الدين تلك الليلة ونجا بنفسه إلى آمد فلما تعذر دخوله إليها تحرك فوصل إلى قرية بالقرب من ميافارقين ببلاد الجزيرة، وتعقبه المغول بفرسانهم فقتل جلال الدين منهم اثنين، ثم صعد الجبل ليحتمي به حتى وقع أسيرا في أيدي الأكراد فقتلوه ولم يعرفوا أنه هو السلطان جلال الدين، وكان مقتله في منتصف شوال سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م كما سبق القول(٢٣٦).

---

(٢٣٣) النسوي: نفثة المصدور، ص١٥٤؛ سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٧٨-٣٧٩؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣٢؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٦٧.

(٢٣٤) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤٩-١٥١.

(٢٣٥) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٨١؛

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(٢٣٦) لمزيد من التفاصيل راجع: النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٧٧-٣٨٢؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨ق٢ص٦٦٩؛ أبو شامة: نزهة المقلتين، ص٢٣٢-٢٣٥؛ رشيد الدين: جامع التواريخ، ص٤٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٢٩٦-٢٩٨؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥ ص١٦٦؛ محمد دبير سياقى: السلطان جلال الدين، ص١٦٥-١٦٩؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ج١ ص٥٠-٥١؛ صبري سليم: السلطان جلال الدين والمغول، ص١٣٠-١٣١.

ولم يكن الناس على يقين بموت جلال الدين؛ فلقد انتشرت بعده شائعات تقول بأن السلطان لم يمت وأنه يحشد الجند ويستعد لمواجهة المغول والقضاء عليهم(٢٣٧)، وحتى بعد موته بسنوات ظهر أكثر من شخص يدعي أنه هو السلطان جلال الدين، فلما تيقن الناس من كذبهم قتلوهم(٢٣٨).

وبمقتل السلطان جلال الدين منكبرتي على يد المغول يكون المغول قد قضوا على الدولة الخوارزمية وأصبحوا متأهبين للانقضاض صوب بلاد الشام والعراق، وقد أحس المسلمون بعد مقتل جلال الدين بفراغ كبير، حيث زال عنهم السد المنيع الذي كان يقف حاجزا بينهم وبين المغول فندموا حيث لا ينفع الندم(٢٣٩).

٢- رحلة هروب النسوي كما عاشها ووصفها في رسالته نفثة المصدور:

كانت المواجهة الأخيرة لجلال الدين مع المغول عند حاني شمالي مدينة آمد في رمضان ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م قد فصلت إلى الأبد بين السلطان جلال الدين وصديقه النسوي، وبينما هرب جلال الدين إلى غير وجهة معلومة؛ كان النسوي هو الآخر هائما على وجهه لا يدري إلى أين يذهب بعد أن ركب فرسه وفر هاربا، ولقد لخص لنا النسوي خط سير رحلة هروبه منذ تلك اللحظة في كتابه سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي حيث يقول(٢٤٠): "لما

(٢٣٧) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٨١؛ محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٦٨.
(٢٣٨) محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين، ص١٦٨.
(٢٣٩) النسوي: سيرة السلطان، ص٣٣٣-٣٣٤؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨ق٢ص٦٧٠؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ج١ص٥٠، ص٨٨-٨٩.
(٢٤٠) سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٨١؛ وراجع محمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه، ص١٦٧؛ راجع كذلك:
P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

فرقت الوقعة بيني وبين السلطان، رمتني الجفلة إلى آمد بعد اختفائي ببعض المغاير ثلاثة أيام، ثم إلى إربل[٢٤١] بعد تعويقي بآمد شهرين ممنوعا من الخروج، ثم إلى أذربيجان بعد مصائب شتى ونوائب تترى، ثم إلى ميافارقين بعد مشقة وبؤس وفراغ كيس وعري لقطع أصابني عن الملبوس".

أما في رسالة نفثة المصدور فقد فصل النسوي ما لخصه في سيرة السلطان جلال الدين، حيث شرح بالتفصيل خط سيره وما لاقاه وعاناه وشاهده في كل بلدة مر بها أو جبل اعتصم به، ومن خلال تتبع رحلة هروب النسوي كما عرض لها في رسالته يتضح أنه لم يكن قد حدد لنفسه وجهة بعينها، ولذلك فإن خط سير رحلته كما وصفه لم يكن ليسوقه عبر طريق واضح إلى مكان بعينه، ولذا وجدنا البلدان تلفظه وحوادث الأيام وهجمات المغول المتكررة تدفعه إلى الهروب العشوائي فينتقل من بلد إلى بلد حتى انتهى به المطاف أخيرا في ميافارقين لينعم بأمان الملك الأيوبي المظفر شهاب الدين غازي ويحظى بحمايته بناء على سابق المعرفة به.

---

(٢٤١) **إِرْبِلُ**: مدينة كبيرة من أعمال الموصل، بين الزابين، ولها قلعة حصينة على تل عال من التراب تشبه قلعة حلب ويحيط بها خندق عميق، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع للصلاة، كان يحكمها في زمن ياقوت الحموي الملك مظفر الدين كوكبري الذي عمل على تنمية المدينة حتى صارت مصرا كبيرا من الأمصار في عهده. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١ص١٣٧-١٣٨؛ القزويني: آثار البلاد، ص٢٩٠. وقد كانت إربل إقطاعا منحه الأتابك عماد الدين زنكي بن آق سنقر إلى قائده زين الدين علي بن بكتكين (ت:٥٦٣هـ) فتوارثها أبناؤه من بعده، وقد تولى مظفر الدين كوكبري حكم إربل مرتين، الأولى بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٣هـ، والثانية بعد وفاة أخيه زين الدين يوسف المتوفى سنة ٥٨٦هـ، وقد ظلت إربل تحت حكم مظفر الدين كوكبري حتى ألحقت بالخلافة العباسية في سنة ٦٣٠هـ بعد موت مظفر الدين. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨ق٢ص٦٨٠؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ج١ص٧٢-٧٤.

وفيما يلي عرض لرحلة هروب النسوي بلسان حاله ووصفه لها:

بدأ النسوي في وصف هروبه في تلك الليلة التي كبس المغول فيها مخيم جلال الدين، يقول: "وهربت راحلا...، وظللت أسوق فرسي حتى رأيت البلاء يحيط بي من كل جانب...، فكنت أفر من التتار إلى التتار"، وقد تمنى الشهادة والموت، ولكن كيف له أن يقبل بالموت على أيدي "هؤلاء الملاعين من التتار" ويستصعب أن يكون مآله إلى مجرد "قطع من اللحم في بطون السباع والضباع"، ثم يصف لنا حاله وغربته منذ خروجه من نسا وهجره أهله وقلعته زيدر فهو من وقتها "مشرق بالأرض مرة ومغربا"، ويذكرنا النسوي بحرصه الدائم على العودة إلى موطنه بل والتوصية بإعادة جسده بعد موته إلى مسقط رأسه في بلدته زيدر(٢٤٢).

وبعد هذه المقدمة التي يبدي فيها النسوي ألمه وحزنه وخوفه الشديد؛ يبدأ في سرد خط سير هروبه فيذكر أنه هرب ملتجئا إلى مغارة بالجبال سكنها مدة ثلاثة أيام بلياليها برفقة ثلاثة من معارفه منهم محمد آجودانه(٢٤٣)، ومن الجبل نزل النسوي وصحبه مدينة آمد، ويبرر النسوي التجائهم إلى آمد نظرا لقربها من موقعهم بالجبل مع وجود علاقة سابقة مع حاكمها أيام جلال الدين الأخيرة، وقد قضى النسوي في مدينة آمد مدة ثلاثة أشهر حرص خلالها على التكسب من العمل بالكتابة التي يبدو أنه لم يكن يجيد غيرها، كما أفاض النسوي في وصف "الملك مسعود" "أي ملك.! وأي مسعود؟!"

---

(٢٤٢) النسوي: نفثة المصدور، ص١٥٥-١٥٨.

(٢٤٣) النسوي: نفثة المصدور، ص١٥٩، ومحمد آجودانه هو أحد أصدقاء النسوي الهاربين معه أمام المغول، وكان من حاشية السلطان جلال الدين، وآجودانه تعنى كبير المساعدين في البلاط، راجع حاشية المترجم رقم (١٠٩) ص١٥٩، وقد ذكر النسوي هروبه واختفائه ببعض مغاير الجبال مدة ثلاثة أيام أيضا في كتابه: سيرة السلطان، ص٣٨١.

حاكم آمد وذكر مساوئه وغدره وخيانته وسوء طباعه[٢٤٤]، وتمنى النسوي زوال ملكه وهلاكه، فتحقق ما تمنى حيث يذكر النسوي أنه عاد فيما بعد أربعة فصول إلى آمد فوجد ما تمناه من زوال ملك الملك مسعود على أيدي الأيوبيين "الملوك العظام والسلاطين الكرم سادة مصر والشام"[٢٤٥].

ومن آمد شرع النسوي في التخطيط للهروب إلى مدينة تبريز بأذربيجان للحصول على بعض المال الخاص به هناك قبل أن تمتد إليه يد الناس ليفتدوا أنفسهم به من القتل وتقديمه فدية للمغول، وقد نجح النسوي في الهروب من آمد متخفيا في زي الدراويش، ويخبرنا أنه قطع المسافة من آمد إلى سيرا على الأقدام حافيا برفقة ستة من الأشخاص كانوا معه[٢٤٧]، وفي الطريق تعرض هو ومن معه للهجوم من قبل جماعة من الصوص العرب قبل الوصول إلى ماردين، وقد رغب هؤلاء اللصوص في قتلهم (بوصفهم من الأتراك الخوارزميين) تقربا إلى المغول، لكن معرفة النسوي للغة العربية التي يتحدثون بها كانت سببا في نجاته ومن معه من أيدي هؤلاء اللصوص كما يذكر[٢٤٨].

وقد جد الملك مسعود صاحب آمد في ملاحقة النسوي ومن معه

---

(٢٤٤) النسوي: نفثة المصدور، ص١٦٠-١٦٥.

(٢٤٥) النسوي: نفثة المصدور، ص١٦٨-١٦٩.

(٢٤٦) **مَارِدِين**: مدينة وقلعة مشهورة تقع في الجزيرة الفراتية شمالا من سورية وجنوبا من تركيا، وصفها الجغرافيون المسلمون بالحصانة والقوة وذكروا أنه لا يوجد على وجه الأرض قلعة أحسن منها ولا أحكم ولا أعظم، وهى مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، ويقع أمامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط وخانقاوات. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥ص٣٩؛ القزوينى: آثار البلاد، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٢٤٧) النسوي: نفثة المصدور، ص١٦٥-١٦٦.

(٢٤٨) النسوي: المصدر السابق، ص١٦٧-١٦٨.

للتخلص منهم، فبعث الجند للقبض عليه قبل أن يصل إلى ماردين، ويذكر النسوي أنه التقى باثنين منهم في طريق هروبه فضللهم لأنهم لم يكونوه يعرفوه شخصيا، وبعد أيام قليلة قضاها النسوي في ماردين؛ توجه منها إلى إربل حيث قطع المسافة إليها في حوالي "عشرة أيام أو أحد عشر يوما" بعد رحلة شاقة عانى فيها الكثير من المتاعب، ويبرر النسوي سبب اتجاهه إلى إربل بوجود علاقة طيبة سابقة مع صاحبها مظفر الدين كوكبري الذي كان النسوي يكتب إليه ويراسله ويتأدب معه خلال فترة عمله كاتبا لجلال الدين، وقد استقبل حاكم إربل النسوي بالترحاب وغمره باللطف والإنعام والإكرام نظرا لطيب علاقته معه، وفي المقابل امتدح النسوي مظفر الدين كوكبري فيراه "ملك ملائكي السيرة، رقيق الطبع"، وقد أشار حاكم إربل على النسوي بأن يلحق بالأيوبيين في الشام بعدما علم بوجود معرفة سابقة للنسوي بهم وبديوانهم العزيز...، "انهض إلى تلك الحضرة التي هي سواد العين والملة وامض بقية زمانك فيها لتكون في حماها"، ويثني النسوي على وصية حاكم إربل له، ثم يقرر الرحيل من إربل إلى أذربيجان(٢٤٩).

وبعد بضعة أيام قضاها النسوي في مدينة إربل، توجه مسرعا إلى أذربيجان ووصل إلى مدينة أُرمية، وهنا يحدثنا النسوي عن بعض خصومه القدامى فيذكر أن جمال علي العراقي(٢٥٠) كان قد سبقه إلي أرمية، وقد كان

(٢٤٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٧٠-١٧٢. ويتضح من مدح النسوي للأيوبيين أنه قد كتب رسالة نفثة المصدور وهو في رحابهم ينعم بحمايتهم فهو يذكر (ص١٧١) عبارة: "هذا ما وصلت عليه أحوال الدولة في هذه الأيام".

(٢٥٠) **جمال على العراقى** (الجمال العراقى): صاحب الديوان في أواخر حياة السلطان جلال الدين، خلف شمس الدين المستوفي الجوينى الذي مات وقت حصار جلال الدين لأخلاط فى عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، وقد أقامه جلال الدين فى منصبه هذا رغم علمه بمساوئه ليبلى به الوزير شرف الملك ومشرفي الخزانة ويكون بوقاحته رقيبا عليهم كما يقول النسوي. سيرة السلطان جلال الدين، ص٣١٥-٣١٦.

هذا الرجل من معاوني الوزير شرف الملك وخصوم النسوي، ولذلك لا عجب أن وجدنا النسوي يصفه "بالوضيع" ويتساءل: "متى فرزنت يا بيدق، وبم تصدرت يا أحمق"، ورغم كل ذلك يذكر النسوي أنه على عكس بقية الأمراء، كان قد حرص على بقاء علاقة طيبة مع جمال العراقي عسى أن يحتاج إلى ذلك يوما ما(٢٥١).

وقد أدرك النسوي بما رآه ووصفه أن المغول كانوا قد سبقوه إلى أذربيجان وخربوا مدينة تبريز قبل أن يصلها، وعلم النسوي بضياع ماله بها وهو في أرمية، ولم يتبق له من كل ثروته بتبريز سوى أربعمائة دينار كان قد تركها مع أحد الدراويش الصوفية، فعادت إليه واشترى منها النسوي دابتين وتوجه بهما من أرمية إلى مدينة خوي(٢٥٢).

وفي خوي؛ وجد النسوي كذلك بعض خصومه القدامى فيذكر اسم أحد الأمراء المتمردين المعاونين للوزير شرف الملك في عصيانه للسلطان جلال الدين وهو الأمير أحمد أرموي، أصله من أرمية فنسب إليها، وكان قبل ذلك يعمل في خدمة الأمير بوقا الذي ولاه شرف الملك على مدينة خوي بعد رحيل أميرها "بغدي" عنها، وقد كان أحمد أرموي حريصا على الإيقاع بالنسوي، فوشى به لدى الوزير شرف الملك قائلا: "حضر إلينا فلان وأنه بحث في كل مكان ظنا منه أنه سيجد السلطان، ولما لم ير لِلَيْلِ المحنة فجرا صمم على الرحيل إلى الشام...، وها هو قد أصبح عندنا كأرملة فقدت زوجها، وإن معه من المال ما يمكن أن نعيد به إحكام حصن المدينة..."، وقد

---

(٢٥١) النسوي: نفثة المصدور، ص١٧٥-١٨١.

(٢٥٢) النسوي: المصدر السابق، ص١٧٥-١٨٢. **وخوي**: مدينة معمورة من مدن غرب أذربيجان، لها سور حصين ومياه وأشجار، كثيرة الخيرات وافرة الغلات، وأهلها على مذهب أهل السنة والجماعة لا خلاف مذهبي بينهم. القزويني: آثار البلاد، ص٥٢٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص٢٢٤.

استجاب الوزير لهذه الوشاية وأرادوا القبض على النسوي في إحدى الليالي، لكنه تمكن من الهرب من شراكهم(٢٥٣).

وهكذا تكشف لنا رسالة نفثة المصدور عن مدى الضعف والهوان الذي وصل إليه رجال الإدارة في الدولة الخوارزمية وكيف أنهم كانوا سببا من أسباب ضياع الدولة بضعفهم وتخاذلهم وتآمر بعضهم مع المغول، فقد وجدنا للنسوي نفسه -على الرغم من أنه لم يكن من الأسرة الحاكمة - خصوما من رجال الدولة الخوارزمية نفسها يرغبون في التخلص منه ربما أكثر من رغبة المغول أنفسهم، إذ لم يكن المغول وحدهم هم أعداؤه والباحثين عنه رغبة في قتله.

على أن رحلة هروب النسوي لم تخل من أحداث المغامرة والمخاطر، ففي الجانب الآخر تبين لنا رسالة نفثة المصدور أن يوميات كاتبها كانت يوميات رجل هارب من المغول أيضا، وعلى حد تعبيره هو "كنت أفر من التتار إلى التتار"(٢٥٤)، ففي طريق هروب النسوي من خوي؛ وجد نفسه محاصرا بعشرة فرسان من المغول، وقد أبدى النسوي شجاعة في مواجهتهم فأشهر سيفه وامتطى جواده وهم هاربا لكنهم أحاطوا به فوقع عند أقدام فرسه فغموا عينيه، وربطوا يديه خلف رأسه وأخذوه أسيرا مع عدد آخر من الرجال، ويصور لنا النسوي هول ما حدث له في تلك الواقعة وكيف أنه قضى ليلته تلك في البرد والزمهرير مقيدا حتى تمكن أحد الأسرى من فك قيده وقيد النسوي، وتسللا ليلا حفاة عراة في جو رهيب من البرد والصقيع حتى وصلا إلى كلائه (قرب خوي)، بعد أن تورمت قدماه الحافيتين، وألمت الحمى بجسده العاري...، وبعد أربعة أيام يصل النسوي مع صديقه الهارب

(٢٥٣) النسوي: نفثة المصدور، ص١٨٣-١٨٤.

(٢٥٤) النسوي: المصدر السابق، ص١٥٦.

إلى خوي فيراها خرابا مدمرة بعد غزو المغول لها ولأذربيجان بعد أن كانت تلك البلاد عامرة وقت حكم جلال الدين، ويقيم النسوي في خوي مدة شهرين استشفى فيه لبدنه واكتسى لعريه، وعاد للحياة مرة أخرى فأعرب عن اشتياقه لمقابلة السلطان جلال الدين وفكر في العودة إلى موطنه زيدر بخراسان، غير أنه صرف النظر أخيرا عن التوجه إليها بعدما تأكد من هلاكه إذا ما سلك ذلك الطريق، وهنا فكر النسوي بجد في التوجه صوب بلاد الشام، فتحرك من خوي تجاه موغان(٢٥٥).

من موغان يتوجه النسوي إلى أذربيجان ومنها إلى حدود الشام، وفي طريقه إلى الشام ألزمه هجوم المغول أن يسلك طريقا واحدا مارا ببعض ديار بكر(٢٥٦) والأرمن مع ما بهذا الطريق من شدة البرد والصقيع، وقد تجمع مع النسوي عدد من الأرمن وديار بكر كانوا قد التقوا به في خوي، فصحبهم النسوي في ذلك الطريق وغدا "مقدمهم وقائدهم ودليلهم وسندهم"، وبعد مسيرة خمسة أيام يصل النسوي بمن معه من الرفقاء إلى نوشهر من أعمال مازندران(٢٥٧)، ومن نوشهر يتوجه النسوي إلى بركري(٢٥٨)، وفي طريقه

(٢٥٥) النسوي: نفثة المصدور، ص١٨٤-١٩٥.

(٢٥٦) **ديارُ بَكْر**: بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل، وربما جمعت إليه ديار ربيعة فقيل ديار بكر وربيعة لأن سكانها من ربيعة، وهى تقع في الجزء الشمالي الشرقى من العراق العربي بجوار بلاد الجزيرة، وتضم ما وقع غربا من نهر دجلة إلى بلاد الجبل المطلّ على نصيبين، قصبتها مدينة آمد، ومن مدنها المعروفة آني أو حاني وميافارقين وحصن كيفا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢ص٤٩٤.

(٢٥٧) النسوي: نفثة المصدور، ص١٩٦-١٩٧. ونوشهر إحدى مدن إقليم مازندران تقع على الساحل الجنوبي لبحر قزوين قريبا من جالوس.

(٢٥٨) **بركري**: مدينة صغيرة من مدن أذربيجان بينها وبين خوي نحو ثلاثين فرسخا، وتسمى أيضا بركى. الإصطخري: المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى، مراجعة د. محمد شفيق غربال، سلسلة الذخائر، (ع١١٩)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة (ط١) ٢٠٠٤م، ص١١٤، وقد شهدت مدينة بركري عدة مواجهات بين جلال الدين والمغول.

تعرض له ولرفاقه بعض اللصوص فأخذوا ما معهم من مال ومتاع، وأخيرا يصل النسوي ورفاقه (السبعة) إلى بركري(٢٥٩).

وبعد وصوله إلى بركري يتوقف النسوي عن سرد بقية خط سيره حتى وصل إلى ديار الأيوبيين في بلاد الجزيرة، ووفقا لما ذكره مختصرا في كتابه سيرة السلطان جلال الدين؛ فإنه انتقل من بركري إلى ميافارقين حيث استقر به المقام(٢٦٠).

٣- خاتمة رسالة نفثة المصدور:

انتهت يوميات النسوي الهارب ورحلته المليئة بالمغامرة والأخطار حتى وصل إلى ميافارقين، ليعود الرجل بعدها ويذكرنا بأنه إنما يتحدث إلينا في نفثة المصدور عن بعض المواقف التي تعرض لها وأن ما ذكره جزء ضئيل من "سيرة حياته" أرادنا أن نشاركه إياها لنعرف بعض الأهوال التي تعرض لها بهدف إخراج بعض الآلام التي عاناها(٢٦١)، كما يؤكد أنه إنما ذكر لنا قليلا من كثير وأنه أوجز فيما ذكر واختصر. فيما قال صابرا محتسبا من هول ما رآه وعايشه وشاهده(٢٦٢)، ويقرر النسوي الاكتفاء بما كتب حتى هذه المرحلة من سيرته متخوفا على نفسه من الهلاك حسرة وتفكيرا فيما وقع له ولسيده ولأصحابه، فهو لم يمت من هول ما رأى؛ فكيف له أن يستسلم لداء التفكير فيما جرى فيموت بسبب ذلك؟!(٢٦٣).

---

(٢٥٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٩٨-٢٠٢.

(٢٦٠) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٨١؛

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

(٢٦١) النسوي: نفثة المصدور، ص٢٠٢-٢٠٣

(٢٦٢) النسوي: المصدر السابق، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢٦٣) المصدر السابق، ص٢٠٦-٢٠٧.

تضمنت رسالة نفثة المصدور خاتمة معبرة عن تجربة رجل محطم، ومؤرخ متألم شاهد بنفسه وعاش وقائع زوال ملك دولة الخوارزميين وهلاك المسلمين وتخاذلهم، ولم يشأ النسوي أن يختم هذه الرسالة دون أن يحدثنا عن "البلاط المبارك لسلاطين البيت الأيوبي وملوك الأسرة العادلية" الذي لا "يزال كعبة الفتوة وصفا ومروة هذا البيت لا تزال هي الصفاء والمروءة" بعد أن لجأ النسوي إليهم واحتمى بحماهم في ميافارقين(٢٦٤).

ويعلل النسوي ذهابه ولجوئه إلى الملك المظفر شهاب الدين غازي في ميافارقين ويمدح هذا الملك الأيوبي ويثني عليه، يقول: "بناء على سابق المعرفة التي أطلت الدعاء لتشبيتها؛ توجهت إلى بلاط خلاصة هذه الأسرة المباركة السيد الكريم والسلطان الرحيم الملك المظفر لا زال ملكه قرين الدوام ما قرنت الليالي بالأيام وتكاملت القرون بالأعوام ومدت على الليالي جلابيب الظلام...، وها هي أربعة أعوام قد مضت عليّ وقد ألقيت عصا الترحال والفرار في دار القرار هذه...، وجعلت من هذا الإقليم الذي هو في الحقيقة عش الأمن والأمان... مأوى لي، وكنت خلال هذه المدة أمضى أوقاتي وأنا موضع لنظر الرأفة ومشمول بأنواع الكرامة والعطف، ونعمت من مادة إنعام هذا الملك لا قطعها الله، وأمدها في قناعة العيش الرغد"(٢٦٥).

ويشكر النسوي وجوده آمنا مطمئنا في رحاب الملك المظفر، ولكنه رغم ذلك يتألم لفراق الموطن والأهل والأحباب ويشتاق إلى العودة إليهم في خراسان(٢٦٦)، وقد حرص خلال فترة وجوده في ميافارقين على استطلاع أخبار السلطان جلال الدين وأخبار بلدته زيدر ومدينة نسا، وقد ذكر لنا أن

---

(٢٦٤) المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٢٦٥) النسوي: نفثة المصدور، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢٦٦) المصدر السابق، ص٢١٠-٢١١.

رسالته هذه التي كتبها ينفث فيها عن آلامه وآماله قد وصلت "إلى مختلف الجهات، ورأى أهل مدينتي وبلدي بعد قراءته وتفقده أن هذا المكتوب لا يكتبه إلا محمد المنشي- الذي أصبح محمد المنسي-، وقد أزيل اسمه من عليه ومن قائمة الأسماء الواردة به"(٢٦٧).

وفي ختام الرسالة يذكر النسوي شوقه لمقابلة السلطان جلال الدين ويعاتبه، يقول: "وخلال هذه المدة لم يسمع بخبر السلطان سوى النسيم الذي لا يريد ذهبا ولا يرغب في فضة، ولم يشاهد أحد جماله إلا الشمس التي لا تسعد أحدا، ولم يرد على خاطره يوما أن يتساءل إلى أي حال وصلت أحوال ذلك الصديق على يد تصاريف الدهر، ولم يخطر بباله قط أن يعرف ماذا رأى الواقع في تغاير الزمان..."(٢٦٨)، "ومع أن عدم اهتمام السلطان بي وإهماله لي قد طغى على كل الشدائد والآلام التي عانيتها فإني أغلقت فمي...، وسأظل أعطر مسامع الملوك والأمراء بذكر محاسن السلطان ومحامده ومزاياه، وأعنبر المحافل والمجامع بنشر مزاياه ومآثره..."(٢٦٩).

وتؤكد هذه الكلمات على أن النسوي لم يكن يعلم بحقيقة مقتل السلطان جلال الدين منكبرتي على يد الأكراد في شوال عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، وكان قد مر على مقتله حتى كتابة النسوي لرسالة نفثة المصدور حوالي أربع سنوات قضاها النسوي في ميافارقين مشتاقا لرؤيا جلال الدين ومعاتبا له على عدم البحث عن "صديقه" النسوي ومعاتبا له هجره إياه، وقد أشار النسوي في كتابه سيرة السلطان إلى ذلك حيث يقول أنه ما إن "نزل بمنزل من البلاد السلطانية إلا والناس يرجفون بأن السلطان باق، وأنه

(٢٦٧) النسوي: المصدر السابق، ص٢١٢.
(٢٦٨) المصدر السابق، ص٢١٢-٢١٣.
(٢٦٩) المصدر السابق، ص٢١٤-٢١٥.

جمع واحتشد، واستمد واستعد، أخابير زور وأماني غرور، يفتريها الأهواء ويخلقها الود والولاء، إلى أن عدت إلى ميافارقين وتيقنت هلاكه، فكرهت حياتي، ولمت القدر على نجاتي، فظللت أتنفس الصعداء وأقول: ليت رب محمد (النبي ﷺ) لم يخلق محمدا (النسوي)، ولو أن في الآجال حيلة قاسمته عمري، وجعلت أنقص السهمين شطري"(٢٧٠).

ثالثا: قيمة رسالة نفثة المصدور وأهميتها:

اشتهر المؤرخ محمد بن أحمد النسوي بين المؤرخين المسلمين بأنه النسوي المنشئ كما سبق القول، وقد أثنى المؤرخون عليه وعلى تأليفه لكتاب سيرة السلطان جلال الدين واعتمدوا على هذه السيرة اعتمادا رئيسيا فيما يتعلق بالحديث عن بدء غزوات المغول واحتكاكهم بالدولة الخوارزمية(٢٧١)، ثم اجتياحهم لبلاد الخوارزميين ودور كل من السلطان علاء الدين محمد وولده جلال الدين منكبرتي في التصدي لهذا الغزو.

فقد أشار المؤرخ أبو شامة إلى أنه اعتمد على هذه السيرة فيما يخص أخبار السلطان علاء الدين وولده جلال الدين وحروبهما مع المغول، كما ذكر أنه اختصرها في كتاب مستقل بعنوان "نزهة المقلتين في أخبار الدولتين العلائية والجلالية وما كان فيهما من الوقائع التتارية" حيث كان النسوي مصدر ثقة له بصفته "في صحبتهم وخدمتهم مطلعا على أحوالهم متصرف في أعمالهم"(٢٧٢).

أما المؤرخ أبو الفداء فتحدث عن هذه السيرة على أنها كتاب تاريخ

---

(٢٧٠) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين، ص٣٨١.

(٢٧١) *P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p:974.*

(٢٧٢) أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص١٢٢، نزهة المقلتين، ص٧٠؛ كذلك:

P. Jackson: Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, p: 974.

يحمل عنوان "تاريخ ظهور التتر" لمؤلفه محمد بن أحمد بن علي المنشي النسوي كاتب إنشاء جلال الدين"، ويثني أبو الفداء على هذا التاريخ ويثبت أنه نقل عنه كل ما يتعلق بأخبار السلطان علاء الدين وولده جلال الدين حيث كان النسوي ملازما لجلال الدين "في جميع سفراته وغزواته، فلذلك كان أخبر بأحوال جلال الدين ووالده من غيره"(٢٧٣)؛ وكانت هذه السيرة أيضا أحد المصادر الأصلية التي اعتمد عليها النويري فيما كتبه من أخبار عن تاريخ الدولة الخوارزمية والمغول(٢٧٤) حيث نراه يسمى هذه السيرة "بالتاريخ الجلالي" للمنشئ النسوي(٢٧٥).

ويشير المؤرخ شمس الدين الذهبي إلى رؤيته بنفسه لكتاب سيرة السلطان جلال الدين للنسوي، وذكر أنها تقع في مجلد كبير وأن فيها عجائب لأمر السلطان جلال الدين ووالده علاء الدين(٢٧٦)، في حين سمى المؤرخ ابن الوردي كتاب السيرة للنسوي باسم "تاريخ جلال الدين"(٢٧٧)، وأثنى عليه وعلى بلاغة مؤلفه، كما أشار إلى أنه نقل عنه كثيرا مع تلخيصه لما نقل.

وأفرط ابن فضل الله العمري في الحديث عن سيرة السلطان جلال الدين لمؤلفها النسوي وعلى فصاحة صاحبها وبلاغته، فيقول أنه "كان ذا فصاحةٍ بَلَّغَتْهُ شغاف الأرب، وسوَّغَتْهُ نطاف الأدب كالضرب، وفرغته

(٢٧٣) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣ص١٢٢، ص١٤٧-١٤٨، ص١٥١؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٤٠٧-٤٠٨.

(٢٧٤) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧، صفحات متعددة منها على سبيل المثال: ص٢٠٦، ص٢٤٩، ص٢٦٤، ص٣٢٨-٣٢٩، وغيرها.

(٢٧٥) النويري: نهاية الأرب، ج٢٧ص٣٠٠.

(٢٧٦) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤٤ص٣٧١، ج٤٥ص٣٠٨-٣٠٩.

(٢٧٧) ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢ص١٠، ص١٧٧، وكذلك سماها المؤرخ العراقي عباس العزاوي في كتابه التعريف بالمؤرخين، ص٦١-٦٢.

لاقتطاف بدائع العرب، وصنَّفَ سيرة سنيَّة تُسمَع وقائع سُيُوفِها المشرفيَّة في الرِّقاب، وتُبضِر صنائع معروفها وقد مضَت عليها الأحقاب، وفاءً بعهدهِ لتلك الدَّولة التي والاها وخدَمها، وأولاها ما شرَّفَ بغرره خدمها، فلَمْ يدَع مما يُبْهِج حرفاً ولا يدعُ للسان الطِّيبِ اللهج عرْفاً، بعبارةٍ صاغَهَا بلطافةٍ، أعجب من الفريد، وأعجَل في القُلوبِ تأثيراً من لواحِظ الغيد"(٢٧٨)، أما المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون(٢٧٩) فقد أشار إلى اعتماده على ما كتبه النسوي في سيرة السلطان حيث إنه "التاريخ المعتمد عليه في نقل أخبار خوارزم شاه وبنيه"

ومع هذا الاهتمام الواضح من قبل مؤرخينا القدامى بكتاب سيرة السلطان جلال الدين للنسوي؛ فإنهم على ما يبدو لم يعرفوا شيئا عن رسالة نفثة المصدور لنفس المؤلف؛ إذ لم نجد أحدا منهم يتحدث عنها من قريب أومن بعيد، وقد استدرك المؤرخ العراقي عباس العزاوي(٢٨٠) على صاحب كشف الظنون عدم ذكره إطلاقا لهذه الرسالة، غير أن بعض المؤرخين المحدثين(٢٨١) حرصوا على ذكرها مع التأكيد على نسبتها إلى كاتبها محمد بن أحمد النسوي والإشارة إلى أنها تتحدث عن زوال دولة الخوارزميين وهجمات المغول عليها، كما تحتوي على أخبار متنوعة عن السلطان جلال الدين وعن مؤلفها النسوي نفسه.

فقد اعتبر المؤرخ العراقي عباس العزاوي رسالة نفثة المصدور

---

(٢٧٨) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج١٢ص٣١٥.

(٢٧٩) تاريخ ابن خلدون، ج٥ص١٤٣.

(٢٨٠) عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، ص٦٤-٦٥.

(٢٨١) بارتولد: تركستان، ص١١٠ حاشية (٢٥٤)؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٤٧٥-٤٧٦؛ عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦٤-٦٥؛ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢ص٤٠٨؛ فؤاد الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٢٢٦.

للزيدري النسوي سجلا تاريخيا لمؤلفها فنراه يذكرها بعنوان "تاريخ الزيدري"، ويشير إلى بعض مزايا هذه الرسالة وأهميتها(٢٨٢)، كما اتضح لنا مما سبق عرضه أن رسالة نفثة المصدور التي كتبها النسوي يبكي فيها حاله ويبث آلامه وأحزانه وما آل إليه أمره وأمر سيده السلطان جلال الدين أن هذه الرسالة تحمل في طياتها معلومات وفيرة عن أشخاص وحوادث مهمة تتعلق بمرحلة حرجة من تاريخنا الإسلامي تعرض فيها العالم الإسلامي لأخطر غزو وأشرس هجمة منذ ظهور الإسلام حتى ذلك التاريخ وهو الغزو المغولي وما صحبه من تدمير وتخريب وبث للخوف والرعب في نفس المسلمين آنذاك.

ويمكننا أن نرصد فيما يلي أهمية رسالة نفثة المصدور للنسوي وقيمتها التاريخية:

١- تعد رسالة نفثة المصدور من الوثائق المهمة الجديدة التي تناولت زوال دولة الخوارزميين والتعريف بوقائع المغول الأولى وما أحدثوه من ضجة، فقد تضمنت معلومات جديدة غير مكررة في مصادر أخرى حيث لم يسبق النسوي في رسالته هذه أحد من المؤلفين في الكتابة عن ظهور دولة المغول، كما أنها من أقدم الآثار والوثائق المهمة المعاصرة التي تكشف عن الوضع الرهيب الذي عاشه المسلمون وما شهده العالم الإسلامي آنذاك من ويلاتٍ كسرت عزة نفوس أهله وأصابتهم نكبة لم يسبق أن رأوا مثلها، وقد صدرت هذه الرسالة عن مؤلف معاصر متأثر وهارب من وجه المغول باحثا عن الأمان المنشود(٢٨٣).

٢- تحتوي رسالة نفثة المصدور على أخبار وافية عن بعض المواجهات العسكرية المتكررة للسلطان جلال الدين مع المغول وبخاصة في المرحلة

(٢٨٢) للتفاصيل؛ عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦٤-٦٧.

(٢٨٣) عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦٥.

الأخيرة من عمر هذا السلطان وما قام به النسوي نفسه من دور واضح في مكاتبة الملوك والأمراء، بل وعمله سفيرا ورسولا من لدن جلال الدين لكثير من هؤلاء الملوك والحكام في سبيل الاتحاد وتوحيد القوى الإسلامية في مواجهة المغول.

٣- تناولت رسالة نفثة المصدور أخبارا عن الملوك الأيوبيين الذين التجأ النسوي إليهم في بلاد الشام والعراق فاستقبلوه وأمنوه، فمدحهم وخص بالذكر السلطان الملك الرحيم المظفر شهاب الدين غازي حاكم ميافارقين وأثنى عليه.

٤- كان النسوي بما كتبه في نفثة المصدور أول شاهد عيان كتب تاريخه بلسان أدبي في التعريف بالمغول ووقائعهم الأولى وما أحدثوه من أثر في النفوس، وتعكس رسالته هذه من عنوانها أن المؤلف متألم جدا لما وقع على دولة الخوارزميين وأدى إلى انقراضهم على يد المغول بانقطاع تلك العظمة وظهور الانقراض في أكبر دولة معاصرة لم تستطع أن تزاحمها دولة ما آنذاك، فمن كلام النسوي عن هذه الحقبة نعلم أنه قد تلاطمت أمواج الفتن واضطربت أحوال العالم، وقد صور النسوي في رسالته الحالة السيئة لحياة الناس آنذاك لدرجة أنه نفسه قد سخط على الحياة فصور أنينه وهجره لما فقد من النعيم والنعمة، كما أوضح أخبار المغول وما فعلوه ببلاد الإسلام، إذ لم يفد معهم تدبير ولم يغن حذر، وذكر صمود الخوارزميين ودفاعهم ووقفتهم وقفة الأسود، وعدد لهم مواقف مشرفة، وحكى ما وقع فصور ذلك بقلم بليغ، وعقل سديد، وذكر جهاد السلطان جلال الدين منكبرتي وشجاعته في مواجهتهم، ومدحه بما شاء أن يمدحه حيا وميتا في نضاله عن الإسلام ودفاعه العظيم(٢٨٤).

---

(٢٨٤) عباس العزاوي: التعريف بالمؤرخين، ص٦٥-٦٦.

٥- تكشف لنا رسالة نفثة المصدور عن مسؤولية كثير من رجال الحكم والإدارة في دولة الخوارزميين وتسببهم في ضعف الدولة وضياعها أمام المغول، وذلك بخيانة بعضهم ومظاهرتهم لأمراء المغول، وقد ذكر لنا النسوي في رسالته بعض أسماء هؤلاء منهم الوزير شرف الملك خواجه جهان، والأمير جمال العراقي... وغيرهما.

٦- تبين لنا رسالة نفثة المصدور الأحوال المتردية وردود الفعل الضعيفة من قبل الأمراء والملوك والحكام المسلمين في مناطق أسيا الصغرى وأذربيجان والعراقين وبلاد الجزيرة والشام ومدى خوفهم وضعفهم وتخاذلهم عن نصرة جلال الدين منكبرتي في مواجهته الأخيرة ضد المغول حيث تركوه يناضل وحده منفردا بعد أن كانت قد وهنت قواه وخارت عزائمه من طول محاربته لهم بمفرده، وقد كان هؤلاء الحكام والملوك يظاهرون المغول رغبة منهم في التعجيل بإنهاء أمر جلال الدين ودولته ظنها منهم أن ذلك سيكون معذرة لهم لدى المغول فيبقون عليهم ويستعملونهم في الحكم والإدارة، يقول بروكلمان: "أما سائر ملوك المسلمين وأمرائهم سواء في ذلك الأيوبيون في سورية والسلاجقة في أسيا الصغرى، فقد تنافسوا في التودد إلى المغول، رجاء أن يسمحوا لهم على الأقل بالاستقلال الداخلي في ظل السيادة المغولية"(٢٨٥).

٧- تكشف هذه الرسالة أيضا عن مكانة مؤلفها من سلطانه جلال الدين وما ناله من حظوة ومكانة خاصة لدى هذا السلطان، ولذلك لا عجب أن رأينا صفحاتها تمتلئ بمشاعر الحب والود والشوق لهذا السلطان مع

(٢٨٥) تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١)، ١٩٦٨م، ص٣٨٣.

تقديم النصيحة الحقة له في موضعها ووقتها وقلّ من كان يفعل ذلك في ذاك الزمان.

٨- نـدين للنسـوي في رسـالته نفثـة المصـدور بمعرفـة الكثـير عـن أحـوال خراسان وأذربيجان وبلاد العراق العجمي والجزيرة خلال فترة الغزو المغـولي الأول قبـل الحملـة الكـبرى التـي أجهـز فيهـا المغـول عـلى بغـداد والخلافة العباسية بها في مرحلة تالية.

٩- تثبـت رسـالة نفثـة المصـدور أن التيـار الجـارف للغـزو المغـولي قـد دفـع المسلمين إلى الهروب باتجاه العراق والشام، فوصلوا إلى الموصل وحلب وغيرهما، وكان بينهم العالم والأديب والقائد، فاستفاد ابن الأثير منهم ومـن النسـوي بشـكل خـاص، واسـتقى معلوماتـه مـن أجلهـم مكانـة ووثوقا، وهو يترقب عمن يأخذ فلا يكتب كل ما يسمع، ولا يقبل بكل قـول، يؤيـد ذلـك مـا أكـده في صـحته وصـدقه النسـوي وأخلافـه مـن المؤرخين، فأثنى الكل على ما كتب، وعلى صدق ما دون.

١٠- وأخـيرا...، تعكـس لنـا رسـالة نفثـة المصـدور ثقافـة صـاحبها وسـعة اطلاعـه ومعرفتـه لعـدة لغـات، فـرغم كتابتـه لهـا باللغـة الفارسـية؛ فإنـه استشـهد فيهـا بكثـير مـن آيـات القـرآن الكـريم وأبيـات الشـعر بـاللغتين العربية والفارسية، كما تضمنت الرسالة عددا من أبيات الشعر باللغتين من تأليف النسوي نفسه.

رابعا- أسلوب النسوي ومنهجه في كتابة رسالة نفثة المصدور:

كتـب النسـوي رسـالة نفثـة المصـدور بلسـان المـؤرخ الأديـب، وكانـت الظروف التي دفعته لكتابة هذه الرسالة قد أحاطت بفكره وهدفه منها، إذ لم يكن النسوي يهدف -كما سبق القول-إلى كتابة أحداث تاريخية بقدر ما كان

هدفه التعبير عما يعتور صدره من الآلام والأحزان، ولذلك فإن أسلوبه فيها هو نفس الأسلوب الذي ساد في كتابة الرسائل الأدبية في عصره، ويتسم هذا الأسلوب بالسهولة واليسر مع الحرص الواضح على استخدام المحسنات البديعية والصور البيانية.

فلقد أكثر النسوي من استخدام التعبيرات الإنشائية محافظا على السجع بين الألفاظ والجمل، فنراه في أكثر المواضع يتكلف في الإتيان بألفاظ لا تؤدي المعني المباشر حرصا منه على السجع بين الألفاظ ونهايات الجمل، ومن ذلك مثلا قوله: "أين هذا المشتاق الذي ستكتب له عن شدائد الفراق؟ وأين هو المشفق الذي ستحكي له حكاية الاشتياق؟"، إشارة إلى تألمه وحزنه وشوقه لمفارقة سيده جلال الدين(٢٨٦)، ويقول في معرض ذكره لسبب كتابته لهذه الرسالة: "فليس هناك بد من نفثة المصدور التي يستطيع بها المهجور أن يجد معها راحته، وليس هناك مفر من أنين المهجور الذي مكن أن يكون دواء في ليل الهجر الداجي"(٢٨٧).

وكثيرا ما استشهد النسوي في رسالته بآيات من القرآن الكريم، ولم نجده يذكر الآية بنصها أو يشير إلى سورتها، بل يقتبس بعض ألفاظ الآية القرآنية ويسجل بأسلوبه المعنى الذي يريده(٢٨٨).

كما استخدم النسوي ثقافته في اللغة العربية بالاستشهاد بمأثورات العلماء العرب ومقولاتهم، ومن ذلك نقله عن المبرد والفراء في وصف القلم

---

(٢٨٦) النسوي: نفثة المصدور، ص١٠٩.

(٢٨٧) النسوي: المصدر السابق، ص١١١.

(٢٨٨) راجع مثلا، نفثة المصدور، ص١١٠، ص١١٣، ص١١٧، ص١١٩، ص١٢١، ١٢٣، ١٢٩، ص١٣١، ص١٣٦، ص١٣٩، ص١٤٠-١٤٣، ص١٥٥، ص١٥٩،.... ومواضع أخرى كثيرة.

أنه "غراب البين"(٢٨٩)، كما استشهد بالأمثال والحكم العربية، ومن ذلك قوله: "عش رجبا ترى عجبا"(٢٩٠)، "وعند الشدائد يعرف الإخوان"(٢٩١).

وقد أكثر النسوي من الاستشهاد بأبيات الشعر العربي، ومن ذلك قوله واصفا حاله وما وصل إليه:

فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال(٢٩٢)

وأحيانا كان النسوي يورد قصائد عربية بأكملها أو جزء كبير منها، ومن ذلك قوله:

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر إذا فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر(٢٩٣)

كما استشهد النسوي بأبيات من الشعر لشعراء من الفرس، ومن ذلك قوله:

فخض غمار الردى تسلم وثب عجلا لفرصة عرضت فالحزم في
ما للجبان ألان الله جانبه ظن الشجاعة مرقاة إلى الأجل(٢٩٤)

كما كان النسوي ينشد الشعر بنفسه باللغة الفارسية، ومنها قوله في قصيدة

---

(٢٨٩) النسوي: نفثة المصدور، ص١٠٧-١٠٨.

(٢٩٠) النسوي: المصدر السابق، ص١٠٦.

(٢٩١) المصدر السابق، ص١٠٩.

(٢٩٢) المصدر السابق، ص١١١. والبيت مشهور للشاعر المتنبى.

(٢٩٣) النسوي: نفثة المصدور، ص١٤٩-١٥، والقصيدة للشاعر أبي تمام، وجدير بالذكر أن النسوي نقل هذه القصيدة كاملة عند حديثه عن وفاة جلال الدين في كتاب السيرة. سيرة السلطان، ص٣٨٥.

(٢٩٤) النسوي: نفثة المصدور، ص١٣٠-١٣١. والبيتان للشاعر الأبيوردي الذي يكان يكتب بالفارسية والعربية.

مدح بها السلطان جلال الدين عند فتح مدينة أخلاط:

- نام الآخرون في هناءة وسبات، والسلطان في سبيل دين الحق نسج لنفسه من نمد السروج وحديدها مخدع ووسادة.
- فللأمراء لباس الأطلس وفراء القندس، والسلطان يجيد راحته في لباس الحرب والمغفرة.
- ويستحسن صهيل الخيل في ساحة الوغى وقعقعة السلاح عن ألحان الناي وغناء المزامير(٢٩٥).

ومن الأمور المهمة الجديرة بالذكر في أسلوب كتابة النسوي لرسالته نفثة المصدور، الاستطراد الواضح في كثير من الأحيان لا سيما عند حديثه عن علاقته المتوترة ببعض الشخصيات في البلاط الخوارزمي، ومنهم الوزير شرف الملك خواجه جهان(٢٩٦)، والملك مسعود حاكم مدينة آمد(٢٩٧)، وجمال علي العراقي أحد رجال الوزير شرف الملك(٢٩٨)، فقد امتد حديث النسوي عن هذه الشخصيات ليشمل مساحة كبيرة من الرسالة، فنراه يستطرد في التأكيد على سوء صفاتهم وتوتر علاقته بهم مستخدما مقوماته الشخصية في الكتابة من الاستشهاد على ذلك بالقرآن والشعر العربي والفارسي، كما استرسل النسوي كثيرا في ذكر تفاصيل لا قيمة لها في رسالته

---

(٢٩٥) النسوي: المصدر السابق، ص١٢٥، والنص الفارسي للأبيات يقول:

ديكران درناز خفته شه زبهر دين حق أزنمد زيم وزرين بالين وبستر بافته

خسروانرا اطلس وقندس لباس وبادشاه راحت اندر بوشش خفتان ومغفر يافته

بانك اسبان در مصاف وقعقع كوبان و كرز خوشتراز آواى ناي وبامنك مزمير يافته

(٢٩٦) النسوي: نفثة المصدور، ص١١٧-١٢٠

(٢٩٧) المصدر السابق، ص١٦٠-١٦٨.

(٢٩٨) المصدر السابق، ص١٧٥-١٧٩.

وذلك عند حديثه عن رحلة هروبه أمام المغول بعد فراقه للسلطان جلال الدين، وقد سبق عرض ذلك خلال انتقاله من بلدة إلى أخرى ومن إقليم إلى آخر حتى وصل إلى ميافارقين.

استخدم النسوي في رسالته نفثة المصدور أسلوبا سهلا يناسب الغرض الذي من أجله كتب الرسالة، واسترسل في عرض مأساته الشخصية، على أن منهجه فيها اعتمد على وصف كل ما مر به أو تعرض له خلال فترة زمنية حددها بنفسه بين عامي ٦٢٧هـ/١٢٢٩م حتى ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، ولذلك فإن مضمون رسالته اقتصر على أحداث هذه الفترة الصعبة من حياته الشخصية.

وعلى أية حال؛ فإن رسالة نفثة المصدور تحكي مأساة مؤرخ مثقف هارب أمام زحف المغول خوفا من بطشهم، وتتضمن كثيرا من التفاصيل عن رجلين من العصر الخوارزمي لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر: جلال الدين منكبرتي، ومحمد بن أحمد النسوي؛ وإذا كان الأول سلطانا تخلد ذكره في التاريخ بدوره البطولي في مواجهة المغول؛ فإن الثاني كمؤرخ كان سببا في تخليد ذكر هذا للسلطان بما كتبه عنه وأمدنا به من معلومات وتفاصيل عن حياته الشخصية لم نكن لنعلمها لولا النسوي.

الخاتمة:

تناول البحث حياة المؤرخ محمد بن أحمد النسوي من حيث نشأته ونسبه وثقافته وعلاقته بالدولة الخوارزمية وموقفه من الغزو المغولي، ثم التحاقه بخدمة السلطان جلال الدين منكبرتي وعمله ككاتب للإنشاء وسفيرا لهذا السلطان، كما عرض البحث لرسالة نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور التي كتبها النسوي، وذلك من حيث عنوانها وتفسيره وتاريخ كتابتها والظروف التي كُتِبت فيها، وما تضمنته الرسالة من معلومات وأخبار تخص السلطان جلال الدين وحروبه مع المغول وعلاقته بجيرانه من الحكام المسلمين في أسيا الصغرى والشام وبلاد الجزيرة والعراق، وكذلك الأخبار المتفرقة عن شخص النسوي وفراقه لجلال الدين ورحلة هروبه أمام المغول حيث استقر به المقام في رحاب الأيوبي المظفر شهاب الدين غازي في ميافارقين بناء على سابق معرفته به، وأخيرا عرض البحث لأهمية رسالة نفثة المصدور وقيمتها التاريخية.

ويمكن الإشارة فيما يلي إلى أهم ما توصل إليه البحث من نتائج:

١- الاسم الحقيقي للنسوي هو محمد بن أحمد بن علي بن محمد؛ وقد اشتهر بين مؤرخي إيران باسم الزيدري الخراساني بينما عرف في بلاد العرب وبين المؤرخين المسلمين باسم النسوي المنشئ، بينما لقب بلقب شهاب الدين ونور الدين محمد.

٢- ولد النسوي في حدود عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م على وجه التقريب، ونشأ في قلعة زيدر التابعة لمدينة نسا بإقليم خراسان حيث ورث حكمها عن آبائه واحتمى بها مدافعا عنها وقت هجوم المغول بقيادة جنگيزخان على خراسان.

٣- اشترك النسوي مع بعض أفراد عائلته في الحرب ضد المغول دفاعا عن نسا وقلعة زيدر، وكان بنفسه شاهد عيان على أحداث الغزو المغولي

لإقليم خراسان، وقد عبر في كتاباته عن تألمه الشديد وغضبه لما فعله المغول ببلاده وما رآه من قتل وتدمير وتخريب للدولة الخوارزمية على أيديهم.

٤- التحق النسوي بخدمة السلطان جلال الدين منكبرتي في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م بعد عودة جلال الدين من الهند واستقراره في أذربيجان في شمالي غرب إيران، ومن هنا بدأت العلاقة الوطيدة بين جلال الدين والنسوي لاسيما بعد أن عينه جلال الدين وزيرا في مدينة نسا وكاتبا للإنشاء في نفس العام.

٥- خدم النسوي السلطان جلال الدين منكبرتي خلال السنوات الست الأخيرة من عمر هذا السلطان، فكان له كاتبا وصديقا ووزيرا ومستشارا وسفيرا لدى الحكام والملوك المسلمين.

٦- كان النسوي على علم وثقافة واسعة ومعرفة كافية للغات (الفارسية، التركية، العربية)، وقد شكك البعض في عدم إتقان النسوي للغة العربية إتقانه للغات الأخرى، وقد أثبت البحث عدم صحة ذلك في موضعه.

٧- كون النسوي شخصيته العلمية وثقافته من خلال قراءته لكبار العلماء والمؤرخين والكتاب والشعراء العرب والفرس، كما قرأ كتب المسالك والممالك والبلدان وأفاد منها، وكان حريصا منذ صغره على اقتناء الكتب فكانت له في قلعة زيدر مكتبة خاصة به.

٨- ارتبط النسوي بالسلطان جلال الدين بعلاقات قوية ارتقت إلى مرتبة الصداقة بينهما، فكان جلال الدين يستشيره وينيبه عنه في كثير من المهام السلطانية ولا يثق في غيره لأداء تلك المهام، وقد مدح النسوي جلال الدين وأثنى عليه في كتاباته.

٩- كانت علاقة النسوي القوية بجلال الدين سببا في حقد الوزير شرف

الملك خواجه جهان ونقمته عليه ورغبته في التخلص منه، وقد عبر النسوي في مواضع متفرقة من كتاباته عن سوء طباع هذا الوزير وعدم كفايته ومظاهر سوء العلاقة بينهما، كما شرح بالتفصيل لمقتل الوزير بأمر جلال الدين بعد ثبوت غدره وخيانته، وهو ما عرض له البحث تفصيلا في موضعه.

١٠- كلف السلطانُ جلال الدين كاتبه النسوي بسفارة إلى الملك الأيوبي المظفر شهاب الدين غازي في ميافارقين يطلب منه الدعم والمساندة في الحرب ضد المغول عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، وقد تضمنت رسالة نفثة المصدور معلومات وافية عن هذا السفارة وظروفها واستياء النسوي من رفض الملك المظفر طلب جلال الدين.

١١- التحق النسوي بعد عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م بمقدم الخوارزمية الأمير بركة خان الخوارزمي الذي احتفى به حفاوة بالغة لمنزلته من جلال الدين، ولما قتل بركة خان عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م انتقل النسوي إلى حلب لخدمة الملك الأيوبي الناصر يوسف بن العزيز الذي استعمل النسوي سفيرا إلى المغول أكثر من مرة.

١٢- لم يتحدث معظم المؤرخين المسلمين عن حياة النسوي ومآله بعد عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م سوى المؤرخ ابن الوردي الذي أورد في روايته وفاة النسوي بمدينة حلب في شهور عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م وكان بلا شك قد جاوز السبعين من العمر.

١٣- تعد رسالة نفثة المصدور التي كتبها النسوي باللغة الفارسية من الرسائل التاريخية المكتوبة بأسلوب أدبي بليغ لا يخلو من التكلف والصنعة، كما أنها تعبر عن مدى سعة ثقافة كاتبها واستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأبيات الشعر في اللغتين العربية والفارسية.

١٤- التاريخ الدقيق لكتابة النسوي لرسالة نفثة المصدور هو عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م وهو مقيم بميافارقين، وليس عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م كما ذكر البعض.

١٥- ترجع ظروف كتابة النسوي لرسالة نفثة المصدور إلى حادثة مفارقته لسيده جلال الدين عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م بعد هجوم المغول الأخير على جلال الدين عند مدينة حاني شمالي آمد، وبعد مرور أربع سنوات على هذه الحادثة قرر النسوي أن يكتب رسالته يعبر فيها عن آلامه وأحزانه ويبث فيها شكواه لما وقع له ولسيده ولبلاد الخوارزميين عامة على أيدي المغول.

١٦- ليست رسالة نفثة المصدور سيرة شخصية للسلطان جلال الدين، ولا لصاحبها النسوي؛ بل هي عبارة عن رسالة تاريخية أدبية سجل فيها صاحبها بعض المواقف الشخصية التي وقعت له ويوميات هروبه وانتقاله من بلدة إلى أخرى أمام المغول، وكل ما في الرسالة يتعلق بفترة زمنية محددة من حياة النسوي تقع بين عامي (٦٢٧-٦٣٢هـ/١٢٢٩-١٢٣٤م).

١٧- تحتوي رسالة نفثة المصدور على معلومات قليلة ونادرة في تاريخ مواجهات جلال الدين مع المغول خلال العامي الأخيرين من حياته (٦٢٧-٦٢٨هـ/ ١٢٢٩-١٢٣٠م)، كما أنها بينت بشكل واضح ضعف رجال الحكم والإدارة في دولة جلال الدين وخيانة بعضهم وتخاذل آخرين عن القيام بدورهم في الحرب أمام المغول، وتضمنت الرسالة معلومات كافية عن تخاذل الحكام المسلمين المجاورين عن نصرة جلال الدين ورفضهم التعاون معه في حربه ضد المغول.

١٨- تعد مواجهة جلال الدين منكبرتي للمغول في سهل موغان من أذربيجان في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م وكبسهم له عند قلعة سير كبود، وكذلك حربه ضدهم في كنجه وقمعه لتمرد العامة فيها من أهم

الأحداث التاريخية التي عرضت لها رسالة نفثة المصدور.

١٩- من أهم الأحداث التاريخية التي تناولتها رسالة نفثة المصدور الحرب الأخيرة بين جلال الدين والمغول عند مدينة حاني شمالي آمد من بلاد الجزيرة، وأشار النسوي فيها إلى أسباب هزيمة جلال الدين أمامهم هذه المرة ومنها عدم اكتراث جلال الدين للحرب المنتظرة وشربه الخمر وسكره الشديد ليلة الحرب، وكذا تخاذل الأيوبيين خاصة عن مساندته وخيانة بعض رجاله وعلى رأسهم الوزير شرف الملك وتخاذل كثير من القادة والأمراء عن خوض غمار الحرب ويحملهم النسوي المسؤولية عما حدث لسيده جلال الدين.

٢٠- عرضت رسالة نفثة المصدور بالتفصيل لرحلة كاتبها النسوي ويوميات هروبه أمام المغول منذ فراقه لجلال الدين حتى استقر به المقام في ميافارقين، وقد شرح فيها تفصيلا ما شاهده وعايشه من آلام وأحداث جسيمة ومشاق تحملها بصعوبة خلال انتقاله من مدينة إلى أخرى حتى وصل إلى ميافارقين فاستقر بها بناء على سابق معرفته بالملك المظفر خلال سفارته له.

٢١- اختتم النسوي رسالة نفثة المصدور بالتعبير عن شوقه لبلدته زيدر في خراسان، وكذا شوقه لرؤية سيده جلال الدين ورغبته في العودة لخدمته (ولم يكن وقتها يعلم بمقتل جلال الدين)، كما عبر في خاتمة رسالته عن شكره وامتنانه وسعادته الغامرة بوجوده في دار الأمن والأمان في ميافارقين في رحاب الملك المظفر شهاب الدين غازي ومدحه بما يليق به.

٢٢- أثنى المؤرخون المسلمون كثيرا على محمد بن أحمد النسوي وأشاروا إلى قوة علاقته بالسلطان جلال الدين منكبرتي وحظوته عنده، كما أثنوا على تأليفه لكتاب سيرة السلطان جلال الدين وأشاروا إلى اعتمادهم

عليه بشكل أساسي فيما يخص الحديث عن التعريف بالغول وبدء غزوهم لبلاد المسلمين واجتياحهم لأملاك الخوارزميين في بلاد ما وراء النهر وخراسان ودور كل من السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه وابنه جلال الدين في مواجهتهم.

٢٣- مما يؤسف له أن معظم المؤرخين المسلمين لم يشيروا من قريب أو من بعيد إلى رسالة نفثة المصدور للنسوي ربما لأن أغلبهم لم يعرف عنها شيئا أو لأنها كتبت باللغة الفارسية ولم تنشر إلا مؤخرا رغم أن النسوي كتبها قبل تأليفه سيرة السلطان جلال الدين بسنوات.

٢٤- عرض البحث تفصيلا لأهمية رسالة نفثة المصدور للنسوي وقيمتها التاريخية من حيث كونها وثيقة تاريخية نادرة مهمة معاصرة لأحداث الغزو المغولي الأول كتبها صاحبها بعين المشاهد الهارب أمام زحفهم والمشارك أحيانا في الحرب ضدهم.

٢٥- يعد النسوي بما كتبه في رسالة نفثة المصدور أول شاهد عيان تصل إلينا كتاباته عن التعريف بالمغول ودوافع غزوهم بلاد المسلمين وحروبهم الأولى زمن قائدهم الكبير جنگيزخان، كما أنها تعكس لنا تألم النسوي لما دار على دولة الخوارزميين حيث صور لنا فيها مدى الرعب والخوف الذي ملأ قلوب المسلمين من بطش المغول وفتكهم وما أحدثوه من تخريب في البلاد وقتلهم لمئات للآلاف من المسلمين آنذاك.

٢٦- وأخيرا تثبت رسالة نفثة المصدور أن الزحف المغولي قد دفع المسلمين إلى الهرب باتجاه العراق والشام ومصر، وكان بينهم الكاتب والعالم والقائد، فاستفاد منهم المؤرخون المسلمون فيما سجلوه عن أحداث هذه الفترة الحرجة من تاريخ المسلمين كما فعل ابن الأثير في كتابه الكامل الذي قرأه النسوي واعتمد عليه في مواضع مختلفة من كتاباته كما أشار بنفسه إلى ذلك.

(الملحق الأول) جداول الحكام

حكام الدولة الخوارزمية في فترة البحث

السلطان	فترة الحكم	
	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
علاء الدين تكش بن آتسز	٥٨٩-٥٩٦هـ	١١٩٣-١١٩٩م
علاء الدين محمد خوارزم شاه	٥٩٦.٦١٧هـ	١١٩٩.١٢٢٠م
جلال الدين منكبرتي	٦١٧.٦٢٨هـ	١٢٢٠.١٢٣١م

حكام الخلافة العباسية في فترة البحث

الخليفة العباسي	فترة الحكم	
	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
الناصر لدين الله	٥٧٥.٦٢٢هـ	١١٨٠.١٢٢٥م
الظاهر بأمر الله	٦٢٢.٦٢٣هـ	١٢٢٥.١٢٢٦م
المستنصر بالله	٦٢٣.٦٤٠هـ	١٢٢٦.١٢٤٢م
المستعصم بالله	٦٤٠.٦٥٦هـ	١٢٤٢.١٢٥٨م

حكام المغول في فترة البحث

الحاكم	فترة الحكم	
	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
جنگيزخان	٦٠٣.٦٢٤هـ	١٢٠٦.١٢٢٧م
أوكتاي خان	٦٢٦.٦٣٩هـ	١٢٢٩.١٢٤١م
كيوك خان	٦٤٤.٦٤٦هـ	١٢٦٤.١٢٨٤م

(الملحق الثاني) – خريطة الدولة الخوارزمية

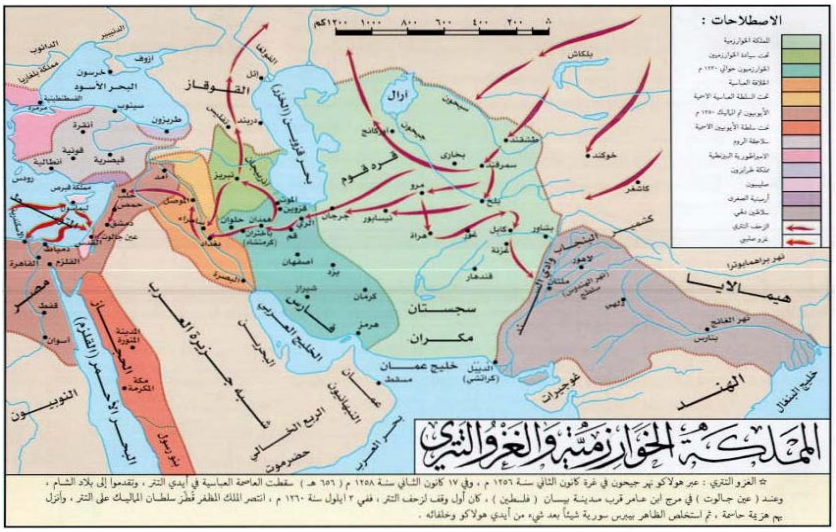

شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ الإسلامي، ص٦٥.

حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، ص٢٢١.

(الملحق الثالث)

رسالة من الديوان الخوارزمي (من إنشاء النسوي)

إلى بلاط الخلافة العباسية مؤرخة في ٢٤ ربيع الأول ٥٩٠هـ

قال ابن فضل الله العمري (٢٩٩):

"ومن نثره (النسوي) قوله من كتاب كتبه إلى الديوان العزيز مع رأس طغرل، وصل بغداد في الرابع والعشرين من ربيع الأول، سنة تسعين وخمسمئة، افتتحه بقوله تعالى: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾(٣٠٠)، قال فيه: "وردت المراسم الشريفة بردع ذلك المارق الخائن، والمنافق الحائن، الذي استمرأ مرعى بغيه، واستعذب آجن غيّه، وأدلج في ليل ضلالته، وخبط في عشواء جهالته، شاربا من آسن الطغيان نهلا وعلّا، غير مراقب في الله ذمة ولا إلّا، مستسهلا للخطر الجسيم، مغترا بحلم الحليم غير مبال بانسلاخه من الدين، وخروجه عن زمرة المسلمين؛ نبذ أمر الله وراء ظهره، ولم يخش أليم عذابه، ولا راقب وبيل عقابه، فراسله الخادم داعيا له إلى الطريق اللاحب، ومشيرا عليه باعتماد الواجب، مهيبا به إلى طاعة الإمام، وعارضا عليه تجديد الإسلام، أو الاستعداد للمصافّ، والرجوع إلى حكم الأسياف، فخيره بين هذين الأمرين، وحكّمه في أحد القسمين، وكلاهما عنده خطة خسف، ومورد حتف؛ فلما أبى إلا إصرارا على خطيئته، وإمرارا لحبل منيته ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)﴾(٣٠١)، دلف إليه الخادم في كتيبة شهباء من جنود الإمام، مقنعة بالزرد المحبوك، محتفّة بالملائكة، محفوفة بالملوك،

---

(٢٩٩) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١٢ص٣١٥-٣١٧.

(٣٠٠) سورة النمل، آية (٤٠).

(٣٠١) سورة الرعد، آية (٣٣).

يتألق حديدها، وتتذامر أسودها، وتئن كالجبل العظيم، والليل البهيم، ضاربة رواقات العجاج، ممتدة الأطناب في الفجاج، وكأن ظللها ليل ولهاذم الرماح نجوم، ودخان الأسنة نار، والصوارم جحيم؛ وكأن رماحها آجال إلا أن المنايا في أوائلها، وحديدها نار إلا أن المنايا تجول في مناصلها؛ ولم تزل ترجف وفوقها جيش من النسور والعقبان، ويدأب بين أيديها جيش من السباع والذؤبان، وأرثها شخص المنون وهو عريان، إلى أن وافى ذلك المخذول وقد جمع للّقاء، واستعد في جيش جم تضيق بهم قذف البيداء، قد استلأموا للقتال، واستلموا كعبة الضلال، إلا أن الله صب عليهم الخذلان، لما تراءى الجمعان، وبرز الكفر إلى الإيمان، فتلا الخادم عليهم: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[٣٠٢]، ولم يكن إلا كنغبة خائف أو لمعة خاطف، حتى انجلت جند الله عنهم وهم كأعجاز نخل خاوية، وأصول زاوية، لا يعرف لهم قتيل من دبير، ولا يفرق بين مأمور وأمير، وأنفذ الله حكمه في الطاغية، وعجل بروحه إلى الهاوية، وملك الخادم بلادهم، وحاز طريفهم وتلادهم، ونساءهم وأولادهم، وبادر بإنفاذ رسول مبشرا، وأنفذ معه رأسه وطبله وعلمه، ليعلم أن قد كسر وطل دمه، والخادم ينهي أن وراءه بلادا شاسعة، ومدنا واسعة، وهو بعيد الأيام، ولا يمكنه طول المقام."

(٣٠٢) من سورة التوبة، الآيتان [١٤-١٥].

(الملحق الرابع)

تواريخ مهمة في حياة المؤرخ النسوي

الحدث	التاريخ	
	ميلادي	هجري
ميلاد النسوي (على وجه التقريب)	١١٧٤	٥٧٠
رسالة من الديوان الخوارزمي (من إنشاء النسوي) إلى بلاط الخلافة العباسية	١١٩٣	٥٩٠
النسوي في قلعة زيدر بنسا	١٢٢٠	٦١٧
النسوي يشارك في الحرب ضد المغول دفاعا عن نسا وقلعة زيدر		
النسوي يشهد هجوم المغول على جرجان	١٢٢١	٦١٩
النسوي رسولا من نسا إلى غياث الدين بير شاه في الري	١٢٢٤	٦٢١
النسوي يلتحق بخدمة السلطان جلال الدين في أذربيجان	١٢٢٥	٦٢٢
النسوي يتولى مهمة كاتب الإنشاء للسلطان جلال الدين		
النسوي وزيرا للسلطان في مدينة نسا		
النسوي يظهر كمترجم بين السلطان جلال الدين ووفد الخلافة العباسية	١٢٢٦	٦٢٣
النسوي يؤدي مهام سلطانية لجلال الدين في العراق العجمي وأصفهان	١٢٢٩	٦٢٧

		النسوي سفيرا من جلال الدين إلى الشيعة الإسماعيلية في ألموت
٦٢٨	١٢٣٠	النسوي يكلف بإيداع أسير مغولي في قلعة سركبود في سهل موغان
		النسوي يكلف بجمع الجنود في أران وتحريض التركمان لحرب المغول
		سفارة النسوي إلى الملك المظفر شهاب الدين غازي في ميافارقين
		عودة النسوي من سفارته ووقوع الهجوم المغولي وفراق النسوي لجلال الدين
٦٣٢	١٢٣٤	النسوي يكتب رسالة نفثة المصدور وهو بميافارقين
٦٣٩	١٢٤١	النسوي يتم كتابه عن سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي
٦٤٠	١٢٤٢	النسوي يرحل إلى بركة خان الخوارزمي
٦٤٤	١٢٤٦	مقتل بركة خان ورحيل النسوي إلى حلب لخدمة الناصر يوسف الأيوبي
٦٤٧	١٢٤٩	وفاة النسوي

المصادر والمراجع

المصادر العربية

أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل الدمشقي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٨م)

١- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تقديم وتصحيح محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل بيروت، (ط٢)، ١٩٧٤م.

٢- نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية وما كان فيهما من الوقائع التتارية، (وهو اختصار لكتاب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي للنسوي)، تحقيق د. إبراهيم فرغل محمد، نشر دار الفلاح للبحث العلمي بالفيوم، مصر، ٢٠٠٨م.

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه بن أيوب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

٣- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (ط١)، (د.ت).

ابن الأثير: أبو الحسن على بن محمد الملقب بعز الدين (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)

٤- الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٤)، ٢٠٠٣م.

الإصطخري: أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الفارسي الكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٨م):

٥- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة (ط١) ٢٠٠٤م.

الحميري: محمد بن عبد الله عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)

٦- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، (ط٢)، ١٩٨٠م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)

٧- تاريخ ابن خلدون المعروف باسم (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم

والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، (ط٢)، ١٩٨٨م.

الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)

٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: عمر عبد السلام التدمري الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، (ط٢) ١٩٩٣م.

٩- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

١٠- سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط ١١)، ١٩٩٦م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)

١١- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

١٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، (ط١)، ١٤٢٣هـ

ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرازق بن محمد الشيباني (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)

١٣- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، (ط١) ١٤١٦هـ.

ابن قزأوغلي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)

١٤- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٨ق٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند، (ط١) ١٩٥٢م.

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)

١٥- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ نشر).

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن على (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

١٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

الندوي: عبد الحي الحسني (ت ١٣٤١هـ):

١٧- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر المعروف بعنوان: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج١، دار ابن حزم، بيروت، (ط١)، ١٩٩٩م.

النسوي: محمد بن أحمد بن علي بن محمد (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)

١٨- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٣م.

١٩- نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور (يوميات هارب من وجه المغول) حول سقوط الدولة الخوارزمشاهية وهجوم المغول، مع مقدمة أمير الشعراء رضا قلي خان هدايت الطبري لله باشي سنة ١٢٨١م، دراسة وترجمة وتعليق د. عادل عبد المنعم سويلم، القاهرة ٢٠٠٤ (دون ذكر دار نشر).

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)

٢٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، [ج٢٧] تحقيق د. سعيد عاشور، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة، د. فؤاد الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط١)، ١٩٨٥م.

ابن الوردي: زين الدين عمر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

٢١- تاريخ ابن الوردي المعروف بـ (تتمة المختصر في أخبار البشر)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١) ١٩٩٦م.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

٢٢- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (ط٢) ١٩٩٥م.

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٧٨هـ/٨٩١م)

٢٣- كتاب البلدان، طبع ليدن ١٨٩١م، نشر دار صادر، بيروت (دون تاريخ).

المراجع العربية والمعربة:

إشتيانى: عباس إقبـال (دكتور)

٢٤- تاريخ إيران بعد الإسلام "من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٩٢٥م) ترجمة الدكتور محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٥- تاريخ المغول (من حملة جنگيزخان حتى قيام الدولة التيمورية)، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، المجلس الثقافي-الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م.

بارتولد: فاسيلي فلاديمير وفتش

٢٦- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت (ط١)، ١٩٨١م.

براون: إدوارد جوانفيل

٢٧- تاريخ الأدب في إيران، (ج٢ من الفردوسي إلى السعدي) تعريب د. إبراهيم أمين الشواربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (ط١) ٢٠٠٤م.

بروكلمان: كارل

٢٨- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١)، ١٩٦٨م.

حمدي: حافظ أحمد

٢٩- الدولة الخوارزمية والمغول (غزو جنگيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٩م.

الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)

٣٠- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١٥)، مايو، ٢٠٠٢م.

سليم: صبري عبد اللطيف (دكتور)

٣١- السلطان الخوارزمي جلال الدين والمغول، بحث مقدم إلى أكاديمية العلوم بجمهورية

أوزبكستان للعرض في المؤتمر العلمي في طشقند في الفترة من (٤ -٨) نوفمبر ١٩٩٩م، بإشراف هيئة اليونسكو العالمية.

سياقي: محمد دبير

٣٢- السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ، ترجمة وتقديم د. أحمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، (ط١)، ٢٠٠٩م.

الصياد: فؤاد عبد المعطي (دكتور)

٣٣- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، دار الكاتب العربي بالقاهرة، (ط١)، ١٩٦٧م.

العزاوي: المحامي عباس

٣٤- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان (٦٠١-٩٤١هـ/١٢٠٤-١٥٣٤م) وزارة المعارف بغداد، ١٩٥٧م.

القزاز: محمد صالح داود (دكتور)

٣٥- الحياة السياسية في العراق في عصر السيطرة المغولية، مطبعة القضاء بالنجف، بغداد، ١٩٧٠م.

لسترنج: كى

٣٦- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٢)، ١٩٨٥م.

مصطفى: شاكر (دكتور)

٣٧- التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام، جزآن، دار العلم للملايين بيروت، (ط٣)، ١٩٨٧م.

المصادر الفارسية:

الجويني: علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٣م)

٣٨- تاريخ چهانگشاي "تاريخ فاتح العالم"، تعريب د. محمد التونجي، دار الملاح دمشق،

(ط١)، ١٩٨٥م.

خواندمير: غياث الدين بن همام الدين الحسيني (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م)

٣٩- دستور الوزراء، تعريب وتعليق د. حربي أمين سليمان، مراجعة وتقديم د. فؤاد عبد المعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

الهمذاني: رشيد الدين فضل الله (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)

٤٠- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنگيزخان من أوگتاي قاآن إلى تيمور قاآن) ترجمة د. فؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة د. يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، (ط١)، ١٩٨٣م.

المراجع الأوربية:

41- Jackson (Peter): Al-Nasawi, The Encyclopedia of Islam, vol 7, Leiden- New York, E.J. Brill, 1993.